

مَجْلَدُ الشَّرْفِ
تَيْسِينَ سَكْمَةً رَابِعاً
مَا جَسْتَرِي فِي الْقَاوِزِ
مَحَامٍ

فن المرافعة

وصناعة المحامي المترافع
أمام المحاكم البجائية

١٩٩٣

الدار البيضاء للطباعة والنشر
ت ٢٨٣٥٠٤٦ - القاهرة



مناجاة الشيخ
سيدى سلامة رابعا
ما يستحقه القانون
مناجاة

فن المرافعة

وصناعة المحامى المترافع
أمام المحاكم الجنائية

١٩٩٣

الدار البيضاء للطباعة والنشر
ت ٢٨٢٥٠٤٦ - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى واحلل

عقدة من لسانى يفتقها قولى .. »

(صدق الله العظيم)

قرآن كريم

الوقر

الى محامين مصر :

مصاييح العدالة وشموعها

رفقاء اشرف رسالة وانبل مهنة

مهنة الجبابة ..

اهدى هذا الكتاب

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

خير بداية دائما هي البدء بحمد الله جلّت قدرته على سابغ
فضله ونعمته وإثبات احسانه ورعايته عليه عز وجل اعتمادنا وبه
سبحانه وتعالى اعترازا • وصلاة وسلاما على أشرف المرسلين سيدنا
محمد النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين •

وبعد :

لقد وضع هذا الكتاب للإجابة على سؤال بلغ مبلغا كبيرا من
الأهمية وهو : كيف تصبح محاميا مترافعا ؟

وقد يبدو الأمر يسيرا في البداية خاصة اذا لاحظنا أن جانبنا
كثيرا من الأساتذة المحامين قد جبلوا على المرافعة بالفطرة وبالموهبة
الطبيعية التي حباها الله لهم • ولكن ينبغي للمحامى من الطراز
المترافع أن يقوم بتدريب نفسه بين الحين والحين وانتقاء بعض
العبارات الجميلة والتقاط ما يبدو له مفيدا في مرافعاته ويعتمد في
ذلك على مجهوداته الذاتية ، فضلا عن ذلك فإنه يوجد قطاع عريض
من المحامين الشبان في حاجة ماسة الى تعريفهم بالمرافعة أمام
المحاكم وأساليب تلك المرافعة وصورها وأشكالها وكيفية المرافعة
والإلقاء والارتجال وتكوين المرافعة كما أنه تبدو الحاجة — بالنسبة
اليهم — ضرورية في بث الثقة والشجاعة في نفوسهم عن طريق

محاولاتهم حفظ بعض أساليب المرافعة من مقدمات أو خواتيم
والخطة العامة الهيكلية لموضوع المرافعة وهو موضوع القضية التي
يتم المرافعة فيها .

ولذلك أثير التساؤل عما إذا كانت المرافعة علم أم فن ؟

فالعلم يتطلب الاعتماد على قواعد أصولية وأسس منهجية حتى
يصل الطالب في النهاية إلى مراده إذا قام بدراستها والتدريب عليها
بانتظام ومعرفة تمامها .

أما الفن فهو يعتمد في جانبته الأكبر على المواهب الطبيعية التي
يمنحها الله للأفراد بحيث يقتطفون فيما بينهم ومنها موهبة الخطابة أو
المرافعة أمام المحاكم .

والحقيقة أن المرافعة أمام المحاكم خليط بين هذا وذلك . فهي
فن في المقام الأول وتعتمد على الموهبة الطبيعية ثم هي لا تخلو
أبشده من أن تكون علماً يقوم النباث بتعليم نفسه بنفسه
أسلوب المرافعة وحفظ بعض الأقوال للاستشهاد بها في المحكمة
عند بداية انطلاقة . كل ذلك حتى يقوم المصامى بواجبه كاملاً
في المحكمة ويستطيع القيام بدوره الذي يضطلع به . ومن المفيد
أن نؤكد على أنه يجب تدريس مادة الخطابة القضائية - المرافعة -
في كليات الحقوق حيث أنها المكان الوحيد الآن في مصر الذي يجب
أن يقوم بتزويد طالب القانون بأسس وأصول المرافعة أمام المحاكم
وحتى يتسنى للطالب بعد تخرجه نواء عمل بالنيابة أو المخاماة أن يقوم
بواجبه كاملاً لأعمال مبدأ شقوية المرافعة موضع التطبيق

وحتى يحين هذا الزمن فإن الطريقة الوحيدة هي تنمية عادة

القراءة التي تكسب الانسان الاحساس بجمال الأسلوب وانتقاء اللفاظ التي تضع الانسان على درجة عالية في هذا المضمار لأن السير في ذلك كما كتب لنكون أشهر الخطباء الى شاب يتوق ليصبح محامياً ناجحاً يمكن في الحصول على الكتب وقراءتها ودراستها بانتباه لأن العمل هو الشيء الأساسي للنجاح (١) . فاذا اتبع الباحث هذا المنهج فضلاً عما يمنحه الله سبحانه وتعالى للبعض من المواهب الطبيعية الفليحة القادرة على الانفجار فسوف ينشأ جيل من المحامين من الطراز المتميز من أصحاب مهنة الجبارة الأمر الذي تزدان به كنوز تلك المهنة .

وإذا كانت كل الحقائق تتأدى بجلال دور المحامي وواجب تمكينه من القيام بمهمته على أوسع نطاق هذا الاسم الذي يتولف عليه هو نفسه وعلى مدى المامه الاسم المطلوب بكافة العلوم الإنسانية كلها . فان الحقيقة الكبرى هي أن انشاء المحاكم وتنوع القضاء يرتد الى أصل واحد ألا وهو حماية وصيانة ورعاية حقوق الدفاع أمام تلك المحاكم . هذا الحق الذي كفله الشارع بقوة القانون والذي له ضماناته وامتيازاته وحماياته وأوضح صور ذلك الحق هو الحق في المرافعة الشفوية وخاصة في المسائل الجنائية .

ويرتبط ذلك بمبدأ شفوية المرافعة أمام المحاكم .

ولقد كان أملاً أن يصدر في موضوع المرافعة كتاب يجمع بين دفتيه أحكام المرافعة الجنائية وأصولها وأساليبها ، لذلك راودتني هذه الفكرة منذ أعوام سابقة وبالتالي فان جذور فكرة اصدار هذا الكتاب تعود الى فترة مضت ابان عملي بالنيابة العامة وكان أشد مايسعدني أن يقوم الأستاذ المستشار المحامي العليم بتكليفى بالمرافعة أمام مجاكم

(١) دأبل كارينغى - فن الخطبة - كيف تكسب الثقة وتؤثر بالناس
ص ١٦٤ منشورات دار الكتب الهلال - بيروت - ط ٢ سنة ١٩٨٦

الجنائيات وأنا مازلت معاولنا للنيابة ولشد دهشتي الآن أننى كنت أقبل ذلك راضيا تماما بل ومستبشرا .

ولم يكن يخالجنى الشك ولا الخوف على الاطلاق . بل كنت بحمد الله تعالى ، شجاعا فى المرافعة ولم أمنح فى أحيان كثيرة الفرصة الكافية لحراسة القضية الدراسة المستفيضة المتأنية لأن الجميع يعلم أن وكيل النيابة المترافع غالبا مالا يكون هو وكيل النيابة المحقق لطول فترة الاجراءات وخاصة أمام محاكم الجنائيات .

ومضت هذه الفترة الجميلة من حياتى وأنا مازلت أحلم بإنشاء كتاب عن المرافعة أمام المحاكم قد يفيد منه الزملاء المحامون أو أعضاء النيابة العامة ثم تبلورت تلك الفكرة فى ذهنى تماما واستجمعت أركانها عندما عملت بالمحاماة ووجدت أن عددا كبيرا من المحامين فى حاجة ماسة الى موضوع هذا الكتاب خاصة بعدما شاهدت مرافعات كبار محامين مصر أمام المحاكم . فأليت على نفسى ووجدت أن من واجبنى أن يصدر هذا المؤلف لكى يسير محامو العصر على الأسلوب الأمثل فى المرافعة احتذاء بالسلف من جبايرة المحامين فى العصور السابقة .

ومما لا يغيب عن البال ان أهمية هذا الكتاب لا تنصرف فقط الى حاجة الزملاء الجدد له لخاو المكتبة القانونية من المادة العلمية له . بل انه أيضا يفيد الزملاء المتقدمين فى القانون بدرجة كبيرة .

ولذلك استظرم هذا الكتاب أن نعرض لأحكام وقواعد المرافعة أمام المحاكم فى الفصول الأولى من الكتاب .

ثم عرضنا لطائفة من مرافعات سلف المحامين المشهورين فى النهاية .

وعلى هذا النحو فقد قمنا بتقسيم الكتاب الى الفصول الآتية :

الفصل الأول : مفهوم المرافعة

الفصل الثاني : عناصر المرافعة

الفصل الثالث : أحكام المرافعة

الفصل الرابع : المرافعات الذهبية

على أن يسبق ذلك كله فصل تمهيدى عن المحاماة وملاحتها
بالمرافعة .

ويمعد :

فهذه مجرد محاولة متواضعة للنهوض في أعماق موضوع على
جانب كبير من الأهمية فضلا عن خطورته .

وأرجو أن أكون قد وفقت في معالجة فن المرافعة أمام المحاكم
الجنائية . فان كنت أصبت فمن الله وان أخفقت فمن نفسى .

« والله ولى التوفيق »

حامد الشريف

المحامي

فصل ثميدى المهامة مهنة الجبارة

ان المهامة أشرف مهنة وأنبله رسالة •

فالمعلمى — عند بعض الناس — هو حامى الضعفاء والأرامل واليتامى يدافع متبرعا أو مأجورا عن القضايا العادلة ليخلص المظلوم واليائس ويبرد الحقوق المنصبة لأصحابها ويسمع صيوتهم لمثلَى العدالة ويقوى حجتهم ويدفع عنهم كيد الكائدين ويكشف سنيهم المتآمرين • ولذلك قال عنه المنصفون أنه حامل الشبلة التى تبسجد غياهب الشك وتثير الطريق الى العدالة والحق ومن ثم فهو الشمعة التى تحترق لكى تنضاء مصابيح العدالة •

وهو يعتبر عند البعض الآخر مجرد ثرثار أجير • الكلام صناعته والأكاذيب بضاعته سيان عنده أن يدافع عن الحق أو الباطل مادامت ستدفع له الأجر ليستمين بعلمه لكى ينصر باطله على حق خضمك ويسمى بعلمه أيضا ليفلت المجرم من العقاب العادل وهو المعلم بجرمه •

والحقيقة وسط بين الرايين فالرسالة شريفة والمهنة نبيلة وهى ضرورية لا يضرها أن يكون بين أفرادها — مثلما يكون بين غالبية الفئات — من يسيئون إليها ولا يحقرون إلا أنفسهم • ولأن المهامة بحق أنبل مهنة وأشرف رسالة فهى قديمة قدم القضاء وضرورية

كالمدة والنبيلة كالفضيلة ولذلك فهي تجمع بين النبيل والسمو •
ولذلك فإن الناس تعجب بالحمامي المنعم بالطلاقة — مولد الطاقة البشرية
صاحب الابتسامة الساحرة •

ولا شك أن واجب الحمامي يقتضيه أن يسمو بنفسه عن كل اغراء
قد يدفعه الى محاولة الحصول على كسب أكبر عن طريق اطلالة
أمد النزاع كما أن هذا الواجب يعطى عليه أيضا أن يبذل كل الجهود
الممكنة لاقتناع موكله أن يكون معقولا عادلا وهو فوق كل ذلك مطالب
بأن يكون على قدر المستطاع قاضيا وأن لم يجلس على منصة القضاء
وبالتالى لا يحق له أن يحمل اللقب المشرف المتعارف عليه وهو لقب
أستاذ اذا ما اقتصرت معلوماته على اللوائح فقط لأن المحاماة هي مهنة
كل المهن ولذا يجب أن يتزود الحمامي بكافة العلوم الانسانية
والاجتماعية عند ممارسة نشاطه (٣) •

والمحاماة تفتح أبوابها على مصراعيها لرجال القضاء الجالس
والواقف يجيئون اليها ومعهم بضاعة غالية من تجارب حصلوا عليها
وقد نبغ منهم الكثيرون ووقفوا على قدم المساواة مع كبار المحامين •

والمحامون هم عماد القضاء وسنده لأن عملهم هو غذاء القضاء
ولئن كان على القضاء مشقة في البحث للمقارنة والمفاضلة
والترجيح فإن على المحامين مشقة كبرى في البحث للابداع والتأسيس،
بل ان عناء المحامين أشد في أحوال كثيرة من عناء القاضي لأن المبدع
خير من المرجح •

ويجب أن يمهّد الحمامي لنفسه لهذه الصناعة وهو مقبل عليها
بالرضا المطلق والثقة حتى يفرم بالجمامة اغراما يطعمه

(٣) انظر — أحمد رشدي — المحاماة كما أمرتها — المرجع السابق —

حلاوتها وحلاوة الاخلاص فيها أما التراخي فانه يمهّد العذر ليصبح محامى ضرورة ثم الفرار الى احدى الوظائف الحكومية .

ومهما تكن حال القاضى من علم وخبرة وحال المتقاضين من لهفة على الفوز وتطلع الى الغلب فالمحامى وحده هو الذى يسوس الدعوى ويتولى توضيحها فهو سيد الدعوى بلا منازع وهو وحده فى الأعم الأغلب الذى يرجع اليه المنقلب من نجاح أو خيبة ويبيده لا بيد سواه تحيا الدعوى أو تموت .

للكل دعوى روح خاصة تنشر الحياة على أعضائها . . وحياة الدفاع فى أسلوبه وفى طريقه وفى حسن اختيار الأدلة وحسن ترتيبها وفى تصوير الدعوى والرد على أوجه دفاع الخصم .

والمحامون هم روح العدالة ، فاذا كانوا لا يكتبون الأحكام فهم يعدون لها البحوث والمرافعات فيقدمون للقضاء المادة الأولية لصناعته وكثيرا ما يقتصر عمل القاضى على الأخذ بالحدى النظريتين التى تقدم بها الدفاع أو أن يوفق بينهما .

والغذاء الفكرى للمحامين هو التشريع والفقه والنظريات القانونية الحديثة ولذلك فالمحامى عندما يؤدي عمله يعتبر شمعة تحترق لكى تضىء مصابيح العدالة وتضىء مسالك تلك المهنة الشريفة ، فالمحامون هم رسل العدالة الذين يدافعون فى كل المصور عن الحق فى قاعات المحاكم التى هى حرم العدالة الحامى للحريات .

وقد يتبرم القاضى من اطلالة دفاع المحامى ويستحثه على الايجاز والاختصار ونحن لا نياأس أن نجد لمثل هذا القاضى عذرا لأن فرصة العمل بالمحاماة لم تنتهياً له يوما من الأيام وذلك لأنه لم يشاهد

كيف يجلس المحامي للقضاء قصاده وكيف يستمع الى شكاوهم وكيف يعرضون عليه ما بينهم وبين خصومهم من المنازعات وكيف يضطر كلرها أو طائعا أن يسمع أقاصيصهم .

والمعرفة بكل نواحيها غذاء لازم للمحاماة كما ينبغي أن تكون .
ولقد قال بلاتون أن مهنة القانون سييدة غيور تأتي الا أن تشغل وحدها فرائش الزوجية دون شريك لها .

والآخرون ذهبوا أنها ليست زوجة غيور بل هي باحتياج دائم الى رفيقات ورفقاء آخرين . فالقانون هو أول العلوم الاجتماعية ويعتاج المحامي الى دراسة علوم الفلسفة والفقه والتاريخ والعلوم الطبيعية وغيرها وعلى المحامي أن يرفع بين الحين والحين رأسه عن مكتبه لينظر من النافذة الى العالم الواسع اذ أن الانكباب على مادة بعينها خليقا بأن يورث المحامي ضيقا في الأفق وسطحية في النظر ولا يخرججه عن ذلك الا تلك المخالطة بين القانون وذخائر العلوم والأدب .

فالمحامي يحكم على القضية الموكلة فيها باسقاط أمام القاضي متأثيره من مشاكل قانونية وآراء الفقه بشأنها عارضا لحجج كل طرف وأسانيده ليسهل على القاضي مهمته وينير طريقه ويسر له الوصول الى الحقيقة (٢) .

وكم من قضايا لم تتضح غباياها الا بعد سماع مرافعة المحامي ، وما أكثر الأمور التي لا يكفي فيها مجرد الاطلاع على ملف

القضية لكشف غموضها فيثبتد هذا الغموض بالقاء المحامى الضوء على ظروف القضية وملاستها وكم من قضايا تعثرت أمام القضاء لصعوبة ترجيح حق على آخر فأدى نقاش المحامين وتفنيد كل منهم لرأى الآخر وجهه الى اظهار وجه الحقيقة فيها (٤) .

وأخيرا فالمحامى وهو الرجل الذى يسعى لتحقيق العدالة دائما هو ضحيته فموكله الذى يفسر القضية لا يسلم أبدا بحق خصمه وينسب الخسارة لتقصير محاميه وليس لعدالة ما حكم به ، والموكل الذى يكسب قضيته لا يرجع ذلك لجهد محاميه بل ينسب الفضل فى كسبها الى وضوح حقه ونزاهة قاضيه (٥) .

(٤) د/احمد صاوى — شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية ١٩٩٠ من ٧٧ حتى ١٤١ .

(٥) حسن الجداوى — كنوز المحاماة — ص ١٢ ، الصاوى بند ٧٩ حتى ١٤٣ .

الفصل الأول

مفهوم المرافعة

تمهيد وتقسيم :

نعرض في هذا الفصل للمفهوم الواسع لمعنى المرافعة أمام المحاكم الجنائية • وسوف نتناول هذا الفصل في مطلبين حيث نعرض في المطلب الأول لماهية المرافعة أما المطلب الثانى فنخصصه لمبادئ المرافعة •

المطلب الأول : ماهية المرافعة

ان المرافعة فى سلحة القضاء معركة أو ان شئت الدقة فقل هى مباراة تشرف عليها روح رياضية عالية يشترط فيها الصق وعدم أخذ الخصم غيلة ، والالتجاء الى سلاح شريف لا زائف ولا مسموم ، مباراة أسلحتها الوحيدة المعتمدة قوة البيان وثبات الجنان وقرع الحجة بالحجة ، والتدليل المنطقى والاستمانة — ولكن بقدر — بتأثير العاطفة واستدرار رحمة الحكم الذى هو القاضى ، أو استثارة غضبه واستغاضه لتحقيق واجبه كمحام للهيئة الاجتماعية يدفع عنها عدوان المعتدين ، وكماجا للمظلوم وسند للمهزوم •

وهذه المباراة التى يتولى ادارتها دائما قاض واحد أو قضاة تجرى دائما فى قاعات متشابهة الوضع ويتتسق يكاد يكون واحدا فالحكم يجلس فى رأس القاعة • وتشرف عليه الحكمة الخالدة التى تبلى الدهور وهى لا تبلى وتتغير المبادئ والأنظمة وهى ثابتة التى تقرر أن « العدل أساس الملك » •

فإذا بدأت المباراة وجب على كل من المتبارين أن يبذل قصارى جهده ليقنع الحكم بحقه ، وليعقد له لواء النصر ولكن المباراة في سبيل العدل لا يستعمل فيها إلا سلاح الحق والصدق تسمو فيها الروح الرياضية الحقّة ، فلا مداورة ولا مواربة ، ولكن كلمة الحق تقال وإن أضرت بقاتلها ، وحجة الخصم يسلم له بها وإن خسرت المعركة بسببها •

فالخاسر في هذه المباراة والكاسب سواء ، كل منهما سعى لنصرة الحق وبها فاز • والمرافعة هي عملية ذهنية سريعة أى عملية عقلية محضة ولذلك يسهر المحامى الليلالى الطوال يسأل أوراق التحقيق أسرارها ، ويستلهمها خباياها ، ويستنبط الحجج التى أعدها لصالح موكله ، ويعمد لليوم الموعود ما استطاع من عدة وبيان ، ما بين شهود ينفى بهم الاتهام ، وأسئلة محرجة يقضى بها على شهود الاتّبات ، ومستندات قاطعة فى الدعوى قاصمة لأدلة الاتّهام فإذا ماجاء يوم الفصل بحث عن لسانه فوجده يتعثّر فى جوانب فيه لا يدرى مايقول ويبحث عن الحجج التى أعدها فإذا بها قد تبخرت وخلا منها بيلانه ونظر الى المستندات التى ظنها دامغة فإذا بها قد تحولت قصاصات لا قيمة لها فى الدعوى ان لم تتحول مستندات عليه لا له •

وتعتمد هذه المباراة على رصيد كبير لا يقدر بالنقود أو الذهب ولكنه رصيد الكلمات ، فالكلمات فى ترتيبها الطبىعى هي مادة القانون النظم وهي تمتاز بسحرها الخاص حيث أن لها صوتا كما أن لها لونا ومعنى ومن ثم فإن اختيارها فى تركيب سليم يزيدها سحرا وقوة فعندما نضم بعض الكلمات الى بعضها البعض نجد أن الحياة قد دبت فى أوصالها بطريقة لاندريها وكأننا أمام شعر أو أمام أغنية • وليس مجرد جملة بل أمام الهام متدفق وسرور لا ينتهى (١) •

(١) كنوز المحاماة — بوجين جيرهارت — ص ٣ ، سنة ١٩٦٧ ، مكتبة النهضة العربية القاهرة ، ترجمة حسن الجداوى ، محمد مهر ، تقديم حسن جلال العمروسى •

ومن هنا تأتي أهمية المرافعة بالنسبة للمحامى شفهية كانت أم كتابية فهى سلاحه الأكبر التى تظهر مواهبه وتنتشر جهوده . فهى للمحامى كالمشرط للجراح وكالقلم للكاتب وكالفرجار للمهندس وبالتالى فإن جمال الأسلوب وعمق الفكرة وتأثير البلاغة من صفات المحامى الناجح . ولقد بلغ بكبار المحامين الذروة فى سلاسة التعبير وقوة الأسلوب وجزالته ، ومن ثم لا تغيب عنهم عبارة ولا يتعثر لهم لسان لأنهم اتصفوا بحلاوة وطلاقة اللسان وسحر البيان والبلاغة لتأكدهم من أن الوقوف للمرافعة لا يقل شرفا بحال من الأحوال عن الجلوس للقضاء .

فالمرافعة فى المحكمة ليست معركة بقدر ما هى مباراة شريفة أسلحتها الوحيدة تعتمد على قوة البيان وثبات الجنان وقوة الحجة والتدليل المنطقي .

ويجب التنويه الى أن السلاح البتار للمرافعة هو الاخلاص فى عرض الوقائع ومناقشة الأدلة وليس مجرد اخفاء نقطة الضعف فى القضية التى تحتل جانبين أحدهما مظلّم والآخر مضىء حتى ولو تغلب الجانب المظلّم على الآخر .

ومن هنا فإن الكلام الغامض عن وقائع غير واضحة يجعلها غير مفهومة لكن الحديث الواضح عن حقائق غامضة يضىء عليها بصيصا من النور وكثيرا من الضوء الساطع .

ومن هنا نلاحظ أنه قد يترافع أحد المحامين ساعتين ويكون مقالا كما قد يترافع غيره خمس دقائق ويصبح مملا ولا يكون ذلك الا بالتركيز على الجانب المظلّم من القضية أكثر من الجانب المضىء .

ويجب ملاحظة أن سحر الصوت السريع المجلجل وموسيقى ذلك الصوت تؤثر فى السامعين . وهذه إحدى سمات المحامى المترافع الذى

يتميز بمقدرة أصيلة على الفصاحة وطلاقة اللسان الأمر الذي يؤكد أن لكل قاض محام بمعنى أنه يجب النظر الى حالة القاضى وظروف الجلسة واليوم وغيره . فالمحامى الذكى هو الذى يعبر الى أعماق قاضيه بنظرة واحدة ومن ثم يختار الأسلوب الملائم للمرافعة باعتبار أن لكل قضية مقال بمعنى أن الصوت العالى والثورة الجارفة من المحامى مؤثر على أن المتهم مظلوم فعلا ولكن اذا كانت الأدلة قوية فيحسن الالتزام بالهدوء والاتزان الكامل لاستعمال عوامل الرأفة فى القضية . وذلك مع الالتزام بأساليب المرافعة التى سوف نتناولها فيما بعد وان كنا نرى أن الأسلوب الأمثل للمرافعات أمام المحاكم هو حفظ بعض المقدمات والخواتيم مع معالجة الموضوع من زاويتى الواقع والقانون وذلك باللغة المختلطة بين الفصحى والعامية .

فالمرافعة ليست هى الفصاحة وحدها ولا هى العلم بالقانون وحده ولكنها قبل أن تكون غزارة علم وزخرف كلام هى سياسة يقظة واستبصار حول الدعوى وهذقا فى الأداء ولباقة فى ايراد الأمر واصدارة بالنسبة للحليل .

ويجب أن يكون الكلام ثوبا للمعانى المقصودة لا قصيرا ينكرها وتكره ولا طويلا يتعثر بها وتتعثر فيه فقد تكون للحق المطلوب حياة فى نفسه ولكن لا يلبث أن يموت لأن قصور الابانة عنه تركه مختفيا تحت ترابه أو لأن الخروج عن القدر اللازم للإبانة عنه الى الاطناب فى غير مقتض أو الى التعلق بالحواشى البعيدة عن صلب الموضوع أرسل من الملالة والسأم ما يضييق به صدر القاضى فلا تجد الحقيقة مسلكا الى قلبه لأن القاضى على كل حال بشر تعنيه الحجة الظاهرة فى العبارة الموجزة عن التطويل باعادة ما قيل أو بما لايقوم به الحليل (٣) .

(٢) أحمد رشدى - المحاماة كما امرها - ص ١٥٢ - الكتب الذهبى للمحكم الاهلية ط ١٩٩٠ .

وان متطلبات النجاح في فن المرافعة هي: الفضيلة وروح المبادرة والعزم والشجاعة . فإذا أردت أن تكون محامياً مترافعاً واثقاً من نفسك فذاك سقصب كذاك لكن يجب أن ترغب في ذلك وتسعى على الطريق الصحيح بعدم اليأس .

وانها لرسالة شريفة مقدسة — رسالة الدفاع — أن تقف بجانب رجل برئ، هجره ذووه وتكر له أصحابه وانصبت عليه لعنة الناس من جميع النواحي لتدافع عنه كما يقف القسيس الى جوار المذنب المحكوم عليه بالإعدام ويسير بجواره وسط صخب الصاخبين حتى قاعدة المشتقة ثم يبحث به واقفاً للقاء ربه . . . وأنا من جانبى أقف بجوار هذا البريء وأرفع صوتى وسط الاتهامات والجلبة لأبث بهذا الرجل نقياً مطهراً أمام الناس .

فلا يمكن أن أدر ظهري لأى متهم — أبداً — مهما تكن تهمة وكلما كان صراخ المتراضين عالياً كانت جلجة المتهم لمحام أشد وأقوى وحين يدير جميع الناس ظهورهم للمتهم يحتتم القانون أن يحين له محام يترافع عنه ويكون له ليس مجرد محام بل صديق .

ومن الشروط الهامة في المرافعة :

١ — وحدة الموضوع .

٢ — ترتيب الكلام وترتيب الأفكار بحيث يبدأ أولاً بالفكرة البسيطة ثم يتدرج حتى يصل الى قمة ما يريد . وفي القصة يبدو انفعاله وقوة صوته وقوة عباراته جميعاً .

٣ — اذا انتقل المترافع من الفكرة الأساسية الى الأدلة التي يريد الاستناد اليها يجب أن تكون أدلته واضحة قريبة متصلة بما عرضه في موضوعه .

وعلى أحوال فإن عرض الموضوع لإبداءه من نوعين من الأدلة أدلة
تؤيده وأدلة تدفع ما يعارضه أو ما عني أن يعارضه ولا شك أن المرافعة
في المحاكم لها أساس واضح من القانون حيث تستند إلى مبدأ شرفية
أجراءات المحاكمة الجنائية باعتبارها من المبادئ العامة للمحاكمة
أعمالاً للمواد ٣٦٨ — ٣٩٤ إجراءات جنائية .

ولكن الخطأ المميت الذي يقترعه الكثيرون يكمن في إهماله تحضير
المرافعة فكيف يأمل ذلك المحامي حتى في قهر الخوف والتوتر العصبي
حين يفوض الحركة بعدة فاسدة أو بدون أية عدة على الإطلاق .

في المحامي في مرافعته صاحب رسالة حقيقية يسعى إلى إبلاغها عن
طريق أسلوبه وصوته ونبرته ولن يستعين في ذلك إلا بالموام الخامر من
الكلمات التي استخرجها من منجمه الخاص .

ويجب ألا يجعل المحامي من حديثه مجرد موعظة مجردة للمحكمة
لأن ذلك سيكون معلاً . إذ يجب جعل الحديث مثل كمة مزينة بالأمثلة
والعبارات الزينة .

والمرافعة الجيدة هي تلك التي تتسلح بمادة احتياطية وافرة
فائضة أكثر بكثير مما يستخدمه المدافع والا كمن بدأ من دون أن يعرف
ما الذي سيقوله وانتهى دون أن يعرف بما ينطق .

ولذلك فإن بناء المرافعة هام جداً حتى يحقق المحامي رسالته
وحتى يكون المحامي سيخ موضوعه بالعمل الشاق والتفطيط الصائب
والعمل التفسيري الدائب حتى يصبح محامياً ماهراً وحتى لا تكون
كلماته مثل المطرقة .

والتمهينة الأساسية هي ألا يبحث المحامي عن الكلمات ولكن
يجب عليه أن يبحث فقط عن الحقيقة والفكرة فمعدتة تتسحق الكلمات
من دون أن يسمى إليها .

والمحامى الناجح هو الذى يلم بقوانين التذكر الطبيعية وهى الانطباع والتكرار وترباط الأفكار .. أو مايسمى بجهاز التذكرة أو فكرة تصوير الوقائع بفكرة الصور أو قانون التذكر الطبيعي وهو لا يؤخر تحضير خطابه للمحكمة الى ما قبل التناهي بتيقة واحدة فان فعل ذلك ستقوم الذاكرة بسبب الضرورة بالعمل بنصف قدرتها الممكنة لذا يجب التفكير وتحضير القضية قبل يوم المرافعة بمدة كافية وان كانت مهارة قمة المحامين تمكثهم من قراءة أوراق القضية ثم المرافعة بعدها بفترة قصيرة جدا بعد الجلسة ولكن يلاحظ أنهم يتعرضون للجوانب القانونية التى من المفروض أنها مدروسة ومحفظة عن ظهر قباب وتختلف بالتالى من محام الى آخر ولا تعتمد الا على ترباط الأفكار لأن الذهن بشكل رئيسى هو آلة ترباط الأفكار .

كما يجب على المحامى احترام المنصة .. فليس احترام المنصة عينا ينسب الى المحامى بل ان جلال المنصة من جلال المحاماه .

ويجب أن يتسلح المحامى أولا وأخيرا بالوقار فالمحامى الذى يفقد وقاره يفقد موكله ويفقد قضيته ويفقد نفسه .

وهذا الوقار يكسبه سحر وزفعة فان سبب ضياع احترام المحامى وانفضاض موكله عنه هو فقدة الوقار .

ولم تعد وظيفة المحامى تقتصر على الدفاع عن الحقوق في وجه نفوس القضاء بل امتدت لتعطي المعاونة الفنية المتخصصة خارج قاعات المحكمة التى هى حرم العدالة المحامى للحريات .

والمحاماه ان أعطيت فهي لا تعطى الا ان عشقها وسار في

دروبها وتمكن من الوصول الى غنها وأسرارها (٣) .

ولمعرفة قيمة المحامى أنظر الى القاعدة الأساسية عن الفرنسيين التى تقول ان الخلق سبحانه وتعالى يأمر من السماء ولعباده أن يطيعوه .
أما المحامى — دون مقارنة — فهو الذى يأمر موكله فى الأرض الذى عليه أن يستجيب لما رآه محاميه (٤) .

المطلب الثانى

مبادئ المرافعة (٥)

تمهيد :

سوف نعرض فى هذا الفصل للمبادئ الأساسية فى المرافعة أمام المحاكم الجنائية على أن نتناول البلاغة فى المرافعة والمأطفة فى لغة المرافعات ثم الالتماس فى المرافعة ثم الجراءة فى المرافعة والاعتدال أيضا فيها على التوالى وذلك على النحو التالى :

أولاً - البلاغة فى المرافعة :

ان البلاغة اجتماع اله البلاغة ، ذلك أن يكون المترافع رابط الجأش ساكن الجوارح ، قليل اللحن ، متخير اللفظ ، لا يكلم القاضي بكلام السوقه .

(٣) انظر الأستاذ/أحمد شبن — عظمة المحللة — ص ٨١ .

(٤) انظر الأستاذ/أحمد شبن — المرجع السابق — ص ٩ .

(٥) عن مقال لغة الاحكام والمرافعة — زكى مريوى المحلى — الكتاب الذهبى بتصرف — ص ١٦٣ .

وذكر رسول الله ﷺ شعيبا النبی علیه السلام فقال « كان شعيب خطيب الأنبياء » .

والابلاغة هي ايصال القلب الى القلب أما الفصاحة فهي احتيال اللسان على الأذن من طريق المعرفة اللفظية التي ليست مجرد ظل للمعرفة غير اللفظية .

١ — « ضرورة البلاغة في اظهار الحق »

اتفق الناس من قديم على أن البلاغة صفة لازمه لمن جعل الدفاع عن حقوق الناس مهنته ، وتواضعوا على وجوب أن يكون المحامي فصيح اللسان بلغ الأثر بكلامه متلاعبا بالعقول والقلوب ، وما يزال الاجماع على لزوم توافر هذه الصفات واقعا .

فالمحامي ينبغي الى الصنعة والى التفنن في أساليب الخطاب أحد أمرين : أما أن المترافع يرمى الى قلب الحقائق فلا بد له من زخرف القول يموه به ويفرر ، وأما أن الحق المجرد بغيته ومطلبه ، والحق المجرد ميسور بمجرد الطلب .

سل طلاب الحق في كل زمان ومكان يذئبون عن الكلام ونوره الساطع وشمسه المتألقة وسلطانها القاهر خيال في خيال . حدسهم عن كنهه يخبروك بأنه جوهر نادر ثمين مستقر في أعماق الأعماق ، خفي على الباحث ، عسى على المستخرج ، وأن وجوده — اذا هو اكتشف — وجود نسبي يقتصر في الغالب على المكتشف . فاذا ما أراد هذا أن يثبت اكتشافه للغير وجب أن يعد نفسه لحرب عوان ليس له من سلاح فيها غير بيان حسن ومنطق واضح وبلاغة غالبية .

على أنه من ذا الذي يستطيع التحدث عن الحقيقة المجردة المطلقة؟ أين الحق الذي لا يمازجه باطل وأين الباطل الذي لا يمازجه حق ؟

النسبية قانون متميز في كل شيء في الوجود ، وليس أسهل من تبين
حكمه في عالم الحقوق •

في كل دعوى اذن مزاج من الحق هو أشبه شيء بالذهب يخالطه
عناصر كثيرة متنوعة على المترافع أن يطهره منها فيخرج بالمعدن النفيس
متالفا وهالجا ، وأنى له ذلك الا أن يؤدى رسالته على الوجه الأكمل فيجلو
ما غمض ويبسط ماتمقد ويسهل ما استمصى • والأمر بعد ذلك ورغم
ذلك ، لا للقضاء وحده ، بل للقضاء والقدر فرب حجة
سائفة قاطعة يحويها كلام سقيم فتضيع قوتها وتخدم
جذوتها ، فإذا ناصرها البيان وقدمها فصيح اللسان انقلبت سحرا حلالا
ولذلك فان البلاغة هي اذن ألزم اللزوميات للمترافع •

٢ — « مجال اللغة العامية في المرافعات »

صحيح أن لغة الارتجال ما تزال تختلف اليوم عن لغة التحرير ،
فالأولى تسعم والثانية تقرأ •

أينا لم يسمع عن الهلأوى في أحد مواقفه الرائعة انه يتكلم بالفصحى
فيزرى بفقهاء اللغة ولكن الرجل محام بطبعه وسليقته ، فهو يعرف
أن العربية الصحيحة ما تزال الى اليوم لغة صنعة ، وانها ما تزال تجهد
المخاطب والمخاطب معا • والاجتهاد اذا طال انتهى الى
هلك وسأم ، لهذا تراه وقد فرغ من التحليق في سماء البيان
وانتهى من قرع الأسماع ، في نقطة معينة ، بخطاب فخم
داوى الألفاظ ، رنان العبارة — تراه بعد هذا وقد هبط من
جوه الأعلى الى سهل موطن من كلام يروى به لطيفة من لطائفه

الثالثة ، أو يصوغ فيه ملحه من ملحه العذبة البارعة ، أو يرى منه سهما من السخر الفتاك ينفذ به الى مقاتل الخصم •

ولذلك سوف تبقى العامية الى جانب العربية الفصحى لغة فرافعة اضافية تصاغ منها النكتة البارعة يخف بها الصخر ويطوى يمعونها ملك الجلسات الطويلة القاحلة • وليس في بقائهما ضرر فهي لن تطفى على الحلول محلها في موضع الجد وعند المناقشة الحامية تدور حول مسائل علمية أو موضوع خطير •

٣ — « مطابقة لغة المرافعة لمقتضى الحال »

« لقد بلغ من اغراق العائلة القضائية ابان بعض اليهود في التأديب أن أصبحت المرافعات والأحكام عبارة عن اقتباسات مكسدة من كتيب اليونان والرومان تلوح بينهما الألفاظ الفرنسية وتفتتى ولكن يلاحظ أنه قد بقي الاتصال وثيقا بين الأدب والقانون • وذلك لأن الكثير من أشهر أدبياتها شغلوا كراسى القضاء أو لبسوا رداء المحاماة •

٤ — « لغة المرافعات لغة حديث لا لغة كتابة »

ان لغة المرافعات قبل كل شيء لغة حديث لا لغة كتابة • تلك هي لغة المرافعات حيث أن المحدث مضطر بحكم طبيعة الموقف الى الابتكار السريع والكلام المرتجل ومواصلة الحديث في غير توقف ولا تردد ولذلك فان أو أول صفاتها من غير شك بساطة التعبير •

(ثانيا) « العاطفة في لغة المرافعات »

وليس أجمل في لغة المرافعات ، بل ليس ألزم ، من غلبة العاطفة فيها حيث أن كلام المحامي يبقى مجرد كلام لا طائل تحته حتى تنشأ عاطفة صادقة فتصبح له قوة السحر •

« وقد فيما قالوا ان القول ينفذ الى القلب اذا صدر من القلب »
ولذلك يقف محاميان يطلبان الرأفة لمتهم فيفوه أحدهما بكلام لا يعدو
السمع ويقول الآخر قولاً يميز القلوب هذا • كلاهما يترافع ، وكلاهما
يستمع كلمة الرأفة والشفقة • فكيف يتفادوا أثر مراعاتهما هذا
التفاد ؟

فتش وابحث وسل علماء النفس ينبثوك بأن واحدا من الاثنين
حساس يستشعر ما يقول ويتأثر منه عدوى التأثير الى الغير ، والتأثر ،
لكي يكون له الأثر يجب أن يكون صادقا ، وهو لا يكون صادقا الا أن
يصدر عن يقين واقتناع • وأن تعجبت لشيء فاعجب لهذا الاقتناع
يبدو لك صادقا — وهو صادق بالفعل — في قضايا يكاد يستحيل
على العقل أن يصدق أن كلام المحامي فيها وليد الاقتناع • ومثال
ذلك أنه في إحدى القضايا ولم يكن في القضية منفذ لأبرة ، لا من حيث
أدلتها ولا من حيث أدبياتها ، أخذ « مرقس » القضية عنوة من ناحيتها
الأدبية متوسلا بما لاحظته من أن التحقيق فيها كان سريا ، وأن المحامين
قد منعوا من حضوره • وانظر اليه كيف يبدأ هذا الدفاع المجيد وقال
ان في مصر محامين :

نحن المحامين نعالج آلام الناس ونرافقهم في شفائهم ولهذا
نرتدى الثوب الأسود ونقف في هذا المكان المنخفض • فإذا ما أعيانا
التعب جلسنا على هذا الخشب الصلب فيزيدنا نصبا • نحن حقيقة
بؤساء ، رفقاء البؤساء • ولكن رغم هذه المظاهر الخداعة فإن الذي
في قلبه ايمان بالحق يرتفع من هذا المركز المتواضع الى السمو الذي
لا حد له • ذلك لأن عماده كله حق ، ولأن مأمورية المحامي تمثل حق
الدفاع المقدس •

لكن ماذا جرى في هذه الدعوى ؟

« جرى أن المتهمين جميعا قذف بهم بإحضرة القاضى الى حوذة من النار » .

ومن الأمثلة أيضا أنه قد قضى « لاشسو » يتراجع ثلاثة أيام وهو كمن يضرب فى حديد بارد حتى أسعفه الحظ ، وقد أخذ اليأس منه كل مأخذ ، بسقطة لسان من النائب العام اذ وصفه فى رده على مرافعته « بالمدافع عن المزورين وقطاع الطريق » .

وهنا وثب « لاشو » وثبة الأسد وقد وخز بالسكين ، وعادته قوته الهائلة بفعل الكرامة المجروحة ، وانطلق بيلانه الساخر من عقابه فأتى بما لا يسبقه اليه متكلم ، واستطاع بعد دفاع مرتجل ملتعب أن ينقذ رأس موكله .

(ثلثا) « الانتماس فى المرافعة »

❖ ويجب ألا يعزب عن الذهن أن المترافع ملتصق ، فلفحته يجب أن تكون لينة يحوطها الاحترام الكلى للمهيئة التى يتراجع أمامها . قد يكون أغزر من سامعيه علما ، وأظهر فضلا ، وقد يكون كلامه لهم تعليميا ، ولكن عبارته يجب أن تكون عبارة اكبار واعظام .

❖ والاحترام والاكبار لا يقتضى التذلل ولا الضعة فى توجيه الخطاب . وشد ما يكره عبارة « سيدى البك » يوجهها بمض الزملاء الى قاض ليس بحاجة الى رتبة تخلع عليه على سبيل التأديب الزائد ، وقد يعمل ظلمها على أنه زلفى وتقرب .

(رابعا) « المرافعات لفة جراءة »

✽ أنظر الى « ديسيز » وقد دعاه لويس السادس عشر :

أيها المواطنون :

أخاطبكم بلسان الرجل الحر • انى أبصت بينكم عن قضاة فبلا
أجد غير متهمين ، أتزيجون أن تجعلوا من أنفسكم قضاة « لويس »
وأنتم خصومه •

أتريدون أن تجلسوا للحكم في قضية لويس ولكم فيها رأى .
يجوب أوروبا من أقصاها الى أقصاها •

أيكون لويس الفرنسي الوحيد الذى لا يضميه قانون ولا يتبته
في محاكمته اجراء واحد صحيح •

أيجرد من امتيازاته كملك ومن حقوقه كمواطن ؟

أيفذله القانون حاكما ومحكوما ؟

ياله من مصير عجيب لا يتصور •

ولاحظ في هذه المرافعة أسلوب التعجب المتواصل والاستبصار
المتوالى والجرأة الواضحة •

(خامسا) « الاعتدال في لغة المرافعات »

يجب أن يكون الجاحى المترافع معتدلا في مرافعته بحيث لا يرمى
زميله بشئ • لأن أقبح من رمى الخصم بما لا يجب ، جرح الزميل •

فصحيح أن المرافعات دفع وجذب ، ونادر هو المترافع الذى يملك
زمام أعصابه فلا تجمع به حدة الدفاع • ولكن المسألة مسألة مران •
وانك لتدهش ، وقد عودت نفسك التزام حدود الاعتدال ، كيف يسمو
موقفك ، وتعلو حجتك ، ويمتاز بيانك •

(سائما) « المرافعات في مصر »

وجد حسين صقر والقائى والباجورى وغيرهم من بناء المجد في
زهن كانت المحاماة فيه مجرد اجتهاد .

وثمة نموذج من هذا المجد الخابر تجده في شخص شيخ الجماعة
وامام الصناعة الأستاذ الأكبر ابراهيم الهلباوى بك .

من ذا يستطيع الى اليوم تمدى بحيته الوثابة ولغته الفكهة
الملاذعة وسفره القتال .

ومن جبابرة ذلك العصر أيضا : أحمد لطفي بلخته السهلة الممتعة.

وعبد العزيز فهمى بقلمه ولسانه الجبارين يتصرفان في المعنى
وفي المبني كما يريد ويشتهى . ووهيب دوس صاحب المنطق الجزل
والديباجة الرشيقة والبيان المتدفق في غير صنعة ولا تزويد . ومرقس .
مرقس الذى لايلحق ولا يدانى . مرقس الجذاب الأخاذ ، المتخلط
بسامعه الى الأعماق ، السامى به الى السبع الطباق .

كل هؤلاء يستحق أن يدرس دراسة خاصة ، وأن يقدمه الى
الناس قلم غير هذا القلم وأن توقف عليه جهود لا تستطيعها هذه
العجالة .

وفي دراسة هؤلاء الفحول دراسة لناعية مجيدة من أدبنا القومى
يجب ألا تهمل .

وحسبك منا هنا الاشارة الى اثارهم في مخلف ألوان الكلام
القضائى مما لا يحصى محص .

كما أن من جبابرة المرافعة في هذا الزمن نقيب المحامين الحالى
الأستاذ أحمد الفواجه ، راقبه وهو يترافع وتؤكد أنك ستتعلم منه
الكثير حين يبدأ وحين ينطلق وحين يزمجر وحين يختم مرافعته بأسلوب
سايم صحيح قوى جذاب .

الفصل الثاني

علامر المرافعة

تمهيد :

المرافعة أو الخطبة القضائية هي التي تلقى في ساحة المحاكم أمام القضاة طلبا للحكم في أمر ما ، وهي باختلاف المحاكم التي تلقى بها ، وموقف المحامي أو وكيل النيابة - يختلف باختلاف القضية التي يتكلم من حيث نوعها وأهميتها والأحداث التي بنيت عليها .

وقد بين الرسول (ﷺ) أهمية هذا النوع في قوله لنفر من الأنصار اختصموا اليه (إنما أنا بشر مثلكم وأنتم تختصمون الى وقد يكون بعضكم ألحن ^(١) بحجته من الآخر فأحكم له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له شيء من حق أخيه فانما اقتطع له قطعة من نار) .

وبين هذا الحديث أن المحامي اللبق يستطيع أن يقدح القاضي وأن يلبس الباطل ثوب الحق .

والقضاة الأذكياء يحرصون على ألا يقدحوا ببلاغة المخطيب وأن يجتنبوا القضايا التي أمامهم من الوجهة القانونية البهتة ، والمخطيب القضائي رغم هذا لا يستغنى عن إثارة عواطف القضاة ، وبعبارة أخرى أمام هذا المخطيب لتجاهه أمران : الأمر الأول والأهم هو البحث القانوني وتطبيق قضيته عليه .

الأمر الثاني وهو أمر مساعد وهو جذب عواطف القضاة نحو

ما يدمو اليه • وهذا الامر الآخر وان كان محدود الاثر لا يخلو من أهمية • لأن القانون ذو مرونة ومرونته مقرونة للقضاة • فمثلا نجد العقوبة في جريمة ما غرامة لا تقل عن خمسين جنيها وسجن شهر أو احدى العقوبتين فالغرامة قد تؤخذ في أضيق حدودها وقد يكتفى بها وحدها وقد تزيد عن حدها الأدنى ويضم اليها الحبس ، ومن هنا نجد أن عاطفة القاضي لها أثر •

ولكن الاستمطاف يأتي من نلعية توهين المستند والتصخير من عقوبة شخص برىء أو هو أقرب الى البراءة وان القانون يفضل براءة الجاني أو عشرات الجناة على أن يعاقب شخص برىء بأدنى عقوبة •

ضلع نجاح المرافعة القضائية

وأهم ما تعتمد عليه الخطبة القضائية :

١ — درس القضية درساً عميقاً شاملاً لا يغيب عن المجامى أى جزء منها •

٢ — وضعها في الصيغة القانونية الملائمة •

٣ — أن تصاغ الخطبة في صورة منطقية متسلسلة •

٤ — جودة الأسلوب وقوة التعبير • وكبار المحامين يطعمون خطبهم ليقرأها من لم يشهد قائتها من المحامين الآخرين والخطباء •

٥ — محاولات تجريح الشاهد أو التماس فارق بسيط بين أقوال الشهود ثم يطيل في خطبته لأقناع موكله أنه بذل مجهوداً •

والخطبة القضائية لها مدارسها ورجالها • ويجب أن نذكر وصية عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعري حين ولاء القضاء ، وهى رسالة ،

مشهورة مفكورة في أكثر الكتب الادبية والتاريخية ، ويجب ألا نخفلها ولا يغلظها دارس سواء كان محاميا أو قاضيا أو خطيبا (٢) .

وسوف نعرض لوضوع عناصر المرافعة في ثلاثة مطالب على أن نعرض في المطلب الأول لافتتاح المرافعة وفي المطلب الثانى نتناول موضوع المرافعة أما المطلب الثالث فيعالج ختام المرافعة .

المطلب الأول

افتتاح المرافعة

يجب افتتاح المرافعة بمقدمة مثيرة وبشيء يأسر الانتباه في الحال والخطيب الذى يتمتع بالذكاء يحفظ المقدمة أولا والى يفضل في هذا الزمان أن تكون قصيرة كلاثمة الاعلان لأن ذلك يتطابق مع مزاج القاضى في هذا العصر الذى يجب أن يستخلص المقائق ويجب ألا يبدأ المحامى مرافعته بالاعتذار بأنه لا يجيد المرافعة فهذا خطأ جسيم والأفضل عدم الاستمرار لأنه ليست هناك فائدة من الاستمرار .

ولكن قد يبدأ المحامون مرافعاتهم بتقديم مثال محدد واضح أو الافتتاح بسؤال عام محدد الاجلية عليه تنطبق على القضية كما أن البعض يفتتح المرافعة افتتاحتها طارئا بحادثة مثيرة متعلقة بالقضية ومن المفيد أن يلتقط المترافع أنفاسه في البداية لكى يزول التوتر العصبى .

والمقدمة هي أول مليطرق سمع الناس فإذا كانت جذابة مشوقة

(٢) انظر د/عبد الجليل شلبى - الخطبة وامداد الخطيب - ط ٥
سنة ١٩٩١ ص ١٠٩ .

أنجحت المحامي وجعلت القضية يقبلون عليه وأقبلهم عليه يشد عزمه ويثير فيه النشاط والحمية وهي في جملتها عامل تهيؤ للسامعين ثم يبدأ التسلسل الى موضوعه تدريجيا •

والمحامي في المحكمة ليس بحاجة الى شد انتباه القضاة بهذا الشكل لأنهم تلقائيا متجهون نحوه مصغون لكل مايقول وهو مع ذلك في القضايا الكبيرة مضطر الى مقدمة قد تطول والغرض منها هو التهيئة للموضوع ولبيان أنه يدافع عن الحق لا لأنه منوب من طرف معين • ويقول :

نحن لا نقف اليوم أمام عدالتكم لا لنسدافع عن هذا المتهم بل لندافع أصلا عن الحق ولا نقف ضد شخص بعينه ونهاجمه بقدر ما نقف ضد الظلم •

مميزات واسلوب المقدمة :

١ — أن تكون مشوقة ذات قدرة على شد انتباه السامعين على نحو ما سبق « عنصر التشويق » •

٢ — لكي يصل المحامي الى هذه الدرجة يبدأ بالفاظ واضحة ومفهومة وأفكار قريبة لاتعوز الى تفكير « حسن البداية » •

٣ — لا بد أن تكون شديدة الصلة بموضوع المرافعة فلا يكون بينها وبين المرافعة حين ينتقل اليها فجوة ، بل تكون امتدادا للمقدمة وبذلك يتم ربط الصلة بين المقدمة وموضوع المرافعة •

٤ — من ناحية طول المقدمة أو قصرها يجب أن تكون غير مسرعة في أي من الجانبين لأنها اذا كانت موجزة جدا لم يكن ثم مقدمة واذا كانت طويلة جدا ذهبت فائدتها أيضا لأنها تستنفد قوة المتراحم •

ومن أمثلة افتتاح المرافعة ما يلي :

مثال لافتتاحية مرافعة :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
نبينا محمد النبي الأُمى المبعوث رحمة للعالمين ، فإن خير بداية دائما
هى البدء بحمد الله جلّت قدرته على ما بنى فضله ونعمته وفائض احسانه
ورعايته عليه عني وجل اعتمادنا وبه سبحانه وتعالى اعترازنا •

• فيصنّد : •

فأنتى بعد أن استغرقت فى قراءة أوراق تلك القضية وبمعد أن
انتهيت من قراءتها تماما شعرت بدوار فى رأسى وكاد أن يشل تفكيرى
وتسامت وصرخت من أعماقى :

أهذا المدّ يصل ظلم الانسان لأخيه الانسان من أجل المال ؟

أهذا المدّ يصل ظلم الانسان لأخيه الانسان من أجل الحق ؟

أهذا المدّ يصل ظلم الانسان لأخيه الانسان من أجل الأرض ؟

وانتفضت من أعماقى وتمنيت لو دافعت عن هذا المتهم ليس أمام
سلطات القضاء الشريفة بل تمنيت لو دافعت عنه فى ساحات القتال
الشرسنة التى نخاضها مع أناس لا يعرفون طريقا الا الظلم والعدوان •

وسوف ترون عدالتكم وبأنفسكم أن ماحدث فى هذه القضية من
أغرب القضايا وتفوق بحق حكايات الخيال المستورة •

حفيزيات المستشاورين :

لا يخفى على عدالتكم وكما تعلمنا فى ممرابكم هذا المقدس أن

لكل دعوى شقين لعل الشق الأول هو الواقع أما الشق الثانى فهو القانون .

وفى الحقيقة فان المتهم فى هذه القضية يعتبر مجنيا عليه كما أن المجنى عليه هو الجانى الحقيقى الذى يحاول الايقاع بذلك الصيد الثمين .

وقائع هذه القضية تقود باكملها الى براءة موكلى من التهمة المنسوبة اليه . واسمحوا لى يا حضرات المستشارين أن يتتبع دفاعى بخصوص معينة وقائع تلك الدعوى الى النقاط الثلاثة الآتية :

ومن المقدمات المشهورة من كتاب الله تعالى :

١ — « رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى
يفقهوا قولى ... » .

صدق الله العظيم

٢ — « يا ايها الذين آمنوا إن جامكم فاسق فنبأ فقهبنوا أن تصيبوا
قوماً بجهالة فتصبحوا على ما تطعنتم نادمين » .

صدق الله العظيم

كما وقف أحد المدعين بالحق المدنى فى قضية قتل وقال :

من المعلوم أن المريض اذا أشرف على الهلاك أتوا له بأشهر الأطباء وأعلمهم وأغزرهم وبالتالى فان حضور أساطين القانون مع المتهم دليل دامغ على ادانته وعلى اشرافه على الهلاك .

ولقد وقف أحد المصامين فى قضية كبيرة فقال : يا حضرات المستشارين :

نقف أمام هذه القضية موقف علماء المنطق من قضاياهم المنطقية انهم يضعون المقدمات ثم يثبتون عليها النتائج ، فإذا كانت مقدمات القضية سليمة مقطوعا بصحتها كانت النتيجة المرتبة عليها صحيحة مقطوعا بصحتها . يا حضرات المستشارين لقد تنبّهت الفتنة في أنحاء قطرنا العزيز وقد كانت نائمة لن الله من أيقظها .

بهذه العبارات أشعر القضاة أن لديه أدلة مقطوعا بها لا تقبل أي ظمن أو توهين وعقبها مباشرة أخذ في شرح المقدمات التي كان يريد لها .

المطلب الثاني

موضوع المرافعة

يجب أن يكون (المترافع) سيد موضوعه ومن ثم فإن النجاح لا يكون الا عن طريق العمل الشاق والتخطيط الصائب والعمل التحضير الدائب كما أنه يجب محاولة تذكر التركيب الانشائي . ويجب ألا يبحث المترافع عن الكلمات ولكن يبحث فقط عن الحقيقة والفكرة عندئذ تتدفق الكلمات من دون أن تسعى إليها .

ويجب التزام قواعد التذكرة وتحسين الذاكرة . عن طريق الانطباع — التكرار — ترابط الأفكار . حتى لا يتوه مبدأ أو فكرة في المرافعة كما أنه يجب تحضير المرافعة قبل الجلسة بيومين على الأقل والا فإن الذاكرة لن تعمل الا بنصف مقدرتها الممكنة . لأن العقل هو آلة ترابط الأفكار بشكل ما .

والعناصر الأساسية للمرافعة الناجحة :

١ — ضرورة المثابرة •

٢ — قرار النجاح •

فلقد كتب شاب ينوى دراسة القانون الى لكتورن يطلب النصيحة فقال له :

إذا قررت أن تصبح محاميا تكون قد أنجزت نصف العمل تذكر دائما أن قرارك الذاتي للنجاح أهم بكثير من سائر الأشياء •

إذا تابعت الدراسة الذاتية لفن المرافعة بحماس وإخلاص وثابرت على التدريب فإنه يمكن أن تستيقظ ذات صباح جميل وتجد نفسك أحد أبرز المحامين في مدينتك •

وإذا أردت أن تكون محاميا واثقا من نفسك فإنك ستصبح واثقا من نفسك لكن يجب أن ترغب في ذلك (١) •

ولكن يجب على كل شخص أن يقوم بتتجير المزايا الكامنة في أعماقه للتغلب على الخوف وكسب الثقة بالنفس والبعد عن الارتباك وفقد القدرة على التفكير تماما • ومن هنا يستطيع المحامي للنشء أن يكون مترافعا بارعا بالتدريب الجاد ومن خلال القدرة علىلقاء الخطابات • فعدم القدرة على المرافعة قد يصل بالمحامي الىوضع مخزي للغاية عندما تتضاعف دقات قلبه وتتلاشى بالتالى الأفكار من رأسه ويقف محرجا كالأخرس • ولا شك أن معالجة ذلك لا يكون الا عن

(١) من الخطبة — المرجع السابق — ص ٦٥ •

طريق تحضير المرافعة مسبقا والتدريب عليها باصرار ومن ثم يخف التوتر وتزداد الثقة بالنفس ويصبح خلال فترة محددة نجم الخطابة والمرافعة بين أقرانه وبالتالي فان كسب الثقة بالنفس والقدرة على التفكير بهدوء أثناء المرافعة ليس أمرا طبيعيا كما يتخيله البعض وهي ليست فقط مجرد موهبه وهى الخالق لأفراد عديدين • بل ان كل فرد باستطاعته أن ينمى طاقته الكامنة اذا ماكانت لديه رغبة كامنة وذلك بالتدريب والممارسة التى تزيد الخوف وبفك عقدة اللسان حيث تكون الحالة العصبية للمترافع أساس ذلك ويلاحظ أن غالبية المترافعين ذوى الجدارة الحقيقية يتميزون بالمصيبة •

فاذا ما تنبعت موضوعك باصرار وحيوية فما من شيء تحت السماء يستطيع أن يهزمك •

واعترف مرة خطيب قائلا : قبل دقيقتين من البدء بالخطاب أفضل لو أنى جلست على أن أستهل خطابى لكن بعد دقيقتين من البدء أفضل أن أقفل على أن أتوقف (٢) •

ويجب أن تفكر مليا وتخطط لحديثك • وتعرف ما الذى ستقوله لأنك ان لم تفعل ذلك ستكون كالأعمى الذى يقود أعمى فى مثل تلك الظروف • ولذا يجب أن يكون المترافع واع لنفسه يشعر بالنسج والخيال ان أحمل • ومن ثم لا تتكلم حتى تتأكد أن لديك ما تقوله •

والخطأ المميت الذى يقترفه الكثيرين هو احوال تحضيرهم للمرافعة فهو خوض للمعركة بعدة فاسدة أو بحون عدة على الاطلاق • وذلك فان القواعد الصحيحة فى المرافعة هى اتباع مايلي :

(١) من الخبلة - المرجع السابق - ص ١٤ •

١ — التحضير :

(أ) لا تأخذ الأفكار المطبوعة كما هي من الكتب والأستكون
المرافعة هزينة وناقصة •

(ب) يجب ابلاغ الرسالة الحقيقية الى المستمعين •

(ج) يجب أن تستخرج المواد الخام من منجمك الخاص •

٢ — التفكير في التحضير عن طريق كتابة كل شيء عن الموضوع •

٣ — تحديد موضوع المرافعة : لماذا ، كيف ، متى ، وأين •

اجعل الحديث مثل كمكة مزينة بالأمثلة والقضايا العامة
والعبارات الخلاقة •

٤ — سر الطاقة الاحتياطية :

المرافعات الرائعة يجب أن تتسلح بمادة احتياطية وافرة وفائضة
فلا نكون كمن بدأ دون أن يعرف ما الذي سيقوله وانتهى من دون أن
يعرف ما نطق به واذلك فإنه يجب حفظ بعض الأقوال المأثورة عن
مرافعات كبار المحامين التي ظلت عبر العصور نبراسا يهتدى به في أشد
الأوقات حلكه • ومن أمثلة ذلك :

— لو أنصفتنا النيابة العامة لما تركت هذا الشاهد •

— القضاء هو القانون الحي وبغيره يصبح القانون فعلا مجردا
عاجزا لا خير فيه ولذلك فنحن نمتلىء احتراما للقضاء ونحيطه بالتقدير
والحبة •

— ولذلك فإن ضوء العدالة سوف يلمع دائما ويظهر كل ما هو دنس •

— وسوف يبرز فجر العدالة على الجميع •

كما يجب علاج المعمود الفقري في القضية ولا تنظر الى الضلوع والتركيز على مفتاح الحديث في الدعوى لأن : الحقيقة ليست بنت الجدل ولكنها بنت البحث الكريم •

ومن الأمثلة الانشائية أيضا :

— ان اللغم المضى في هذه القضية هو كذا أو كذا •

— وإذا كان المنطق هو ذلك الشيء الذي اذا عرض على العقول تطلعت بالقبول • فإن هذه القضية قد خلت من أساسيات ومبادئ المنطق •

— الضوء الساطع — الخلية الضوئية — الكائنات الضوئية في الدعوى •

— الصيد الثمين قد وقع في الفخ •

— ان وقوف المتهم لحظة واحدة في قفص الاتهام ينسيه ألف كتاب قراء عن الحرية •

— ان الأدلة هي السلاح البقار في الدعوى ولذلك يجب عرض الأدلة تفصيليا •

« أقوال مأثورة في موضوع المرافعة »

ان الرياء يظل رياء وان قلم أخلفه والغش يبقى غشا وان لانت ملامسه ، والكذب لا يصير صدقا وان لبس الحرير وسكن القصور ، والخداع لا يتحول الى أمانه اذا ركب القطار أو اعطى المنطاد ، والجرائم لا تصير فضائل وان سارت بين المعاهد والفصول — والعبودية ستبقى عبودية ولو ظلت وجهها وغيرت ملابسها فهي عبودية ولو دعت نفسها حرية •

ويقولون لى اذا رأيت عبدا نائما فلا توقظه لئلا يحلم بالحرية فالتناس عبيد الحياة وهى العبودية التى تجعل أيامهم مكتنفة بالذل والهوان ولياليهم مغمورة بالدموع والحماة وهذه هى الحقيقة ومن ثم فان الله الخالق سبحانه وتعالى قد جعل الحقيقة ذات أبواب صعيدة يفتحها لكل من يطررها بيد الايمان •

فماذا أقول فيمن استدان مالى ليشتري سيفا يبارزنى به ورجل فتك برجل آخر فقتل الناس هذا قاتل ظالم — وعندما فتك به القاضى قال الناس هذا قاضى عادل • ورجل حاول أن يسلب الحدير فقتل الناس هذا لص شرير وعندما سلبه القاضى حياته قال الناس هذا قاضى صالح ، وامرأة خانت بعلها فقتل الناس هى زانية فاجرة ، ولكن عندما سبىها عارية ورجمها على رؤوس الاشهاد قالوا هذا قاضى شريف فان سفك الحماة محرم ولكن من حله للقاضى وسلب الأموال جريمة ، ولكن من جعل سلب الأرواح فضيلة • وان خيانة النساء قبيحة ولكن من جعل رجم الأجساد جميلا وان التقاليد الفاسدة تغلظ الضعيف اذا سقط أما القوى فتسامحه

وان المجرم لا يحاكمه المجرمون، والكافر الشرير لا يدافع عن نفسه أمام
الخطاة وان الشفقة لا تجوز على اجرمين الضعفاء أما العدل فهو كل
ما يطلبه الأبرياء وان المال مصدر شرور الانسان والحب ينبوع
السعادة والنور فالمنجمون لا يحولون مسار النجوم والسجين المظلوم
الذى يستطيع أن يهدم جدران سجنه ولا يفعل يكون جباناً .

وجميل أن تعطى من يسألك ما هو في حاجة اليه ، ولكن أجمل من
ذلك أن تعطى من يسألك وأنت تعرف حاجته فان من يفتح يديه وقلبه
للعطاء يكون له فرح بسميه الى من يتقبل عطياه والاهتداء اليه أعظم
مما بالمطاء نفسه .

فليس القتل برثيا من جريمة القتل ، ولا المسروق بلا لوم في
سرقته وكثيرا ما يذهب المجرم ضحية لن وقع عليه جرمه فانما اللص
خبيث نعمة المبتكر ، والمجرم خليقة الظالم ، والقاتل صنيعه القليل ،
والخبث ثمرة العرييد ، والعقوق نتيجة الصارم .

وقد تفلح الحيلة في البداية ولكنها تخيب في النهاية والمتفائل
ينظر الى الوردة ولا يرى أشواكها ، والمتشائم يحدق في الأشواك ولا
يرى الوردة ولذلك ابعدنى رباه عن لسان المرأة الأفعى التى لوثت
الحياة . فالحياة امرأة تستحم بدموع عشاقها . وتتعطر بدماء قتلاها . وهى
امرأة ترتدى بالأيام البيضاء المطننه بالليلالى السوداء وهى أيضا
انفراة قرضى بالقلب البشرى خليلا . وتأباه جليلا . وهى
أيضا امرأة فاسقة ولكنها جميلة ومن يرى فسقها يكره جمالها
وليس من يكتب بالحبر كمن يكتب بدم القلب . وقد بنى الله
الأجسام هياكل للأرواح فعلينا أن نحافظ على هذه الهياكل لتبقى
قوية فالحب كثر ثمين لا يودعه الله الا القلوب الكبيرة الحساسة .

المطلب الثالث

ختم المرافعة

ان الخاتمة في الحقيقة هي أكثر النقاط استراتيجية في فن المرافعة
فما يقوله الانسان في النهاية هو ما يبقى يرن في الأذان وعالقا بالذهن.
ولاهميتها فان الخطباء المشهورين يقرأوا أنه من الضروري كتابة وحفظ
الكلمات المناسبة في ذهنهم . وقد تكون الخاتمة طويلة الى حد ما
كما قد تكون بها مقتطفات شعرية . ويجب أن تكون الخاتمة
واضحة مثل طلب براءة المتهم أو الحكم عليه بأقصى العقوبة ومن أهم
شروط الخاتمة ما يلي :

- ١ - ألا تكون بعيدة عن الموضوع ولا مجددة لأدلة أو آراء
جديدة .
- ٢ - أن تكون قوية في تعبيرها وأيضاً في القائها .
- ٣ - أن تكون قصيرة على نحو ما وتكون حاسمة ومشوقة .

ومن أمثلة الختام الجيد في المرافعات :

« أنتم قضاة الحق ولكم أيضاً مربو الخلق وكامة العدل التي
بها تتنطقون يتجاوب صداها في نفوس ناشئة ونفوس ثائرة ونفوس
فزعاة حائرة فاجعوا حكمكم رسالة عدل وبلاغ عبرة وبشرى سلام
فاذا جنحتهم الى الرحمة فاشملوا بها النشء وقد أوشك أن ياتى
والبلاد وقد دب فيها ذلك الداء الوخيم .

أنتم أطباء النفس كما انكم قضاة العدل والطبيب البصير

لا يتردد ولا ينى عند الضرورة الحاكمة والقاضى الحازم يهذب بالزجر
الحكيم •

واذنوا بين روعة الرحمة وقد حلت بالبلاد وبالنشىء وبين
ضالتهما ان هى حلت بهذا المجرم العتيد ثم اقضوا قضائكم والله
معكم انه نعم الهادى ونعم النصير •

الفصل الثالث

احكام المرافعة

تمهيد وتقسيم :

سنعرض في هذا الفصل للاحكام العامة في المرافعة أمام القضاء الجنائي في ثلاث مطالب على أن نوضح في المطلب الأول للارتجال في المرافعة وفي المطلب الثاني نتناول مقدمات المترافع الناجح ونخصص المطلب الثالث لمستور المرافعة .

المطلب الأول

(ارتجال المرافعة)

لقد جرت العادة على تقسيم المرافعة الى مقدمة أو تمهيد ثم عرض للموضوع يليه المناقشة وهي لب المرافعة وجوهرها .

وخرج البعض على هذه العادة فلم يأبه بالمقدمة ولم يقسم المرافعة الى قسميها التقايديين - العرض والمناقشة - انما كان يسوق الوقائع ويناقشها مما حتى اذا انتهى من السرد سقطت أدلة الخصم من نفسها ، والمحامون يكونوا مستعدين عند قبول الوكالة لأن يلاقوا وهم يؤدون واجبه من العقبات والأخطار ما يلاقيه الجنود في الميدان من طوارئ ومفاجآت .

، وقيل ان المرافعة تمثل العدسة التي تكشف الغاضي الثناييع والتحقيقات الحقيقة التي يعتمد عليها الخصوم في تكليف المناقشة

وتوجيهها نحو مصلحتهم • والقاضي مهما كان ذكيا فطنا أو مهما توافر وقته لبحث الفسومة المروضة عليه في حاجة لذلك المنظار يساعده على ملاحظة تلك الوقائع ، وقد تكون من أهم النقاط التي توجه تقديره لمصلحة أحد المتخاصمين فيقضى له ، ولولا اكتشافها لقضى للخصم الآخر • ويتمين أن يركز المحامي وينتبه حتى لا ينسى أو يقدم نقطة على أخرى ، وأن يكون ثابتا لا يهتز أو يضطرب اذا فوجيء بما ليس في الحسابان ، صجورا موطدا النفس على سعة الصدر مهما تعرض للمقاطعة •

وأخيرا فان المحامي يستعمل قوة حجته وسلامة منطقته وجزالة عبارته وسحر شخصيته وشحذ كل حواسه للوصول الى عقل ووجدان قاضيه •

الأسلوب واللغة :

ليس ضروريا أن تكون كل المرافعة بالفاظ مقعرة وباللهجة العربية الفصحى ولكنه يتمين الجمع بين الاثنين بحيث يستطيع المحامي أن يدفع الملك والرتابة بميا عن قاضيه •

وقد كان العلباوى يتكلم الفصحى فيفوق فقهاء اللغة ولكن الرجل محام بطبيعته وسאיقة فهو يعرف أن العربية الصحيحة ماتزال اليوم لغة صعبة ، وأنها ماتزال تجهد المخاطب والمخاطب •

الدفاع كامل هريته :

فالمحامي يقف غالبا ليدفع عن متهم أحاطته النيابة والبوليس بسياج متين من الأدلة والبراهين ، وأحاطته الرأي العام وصفه بجرائده بحكم قاس سبق به حكم القضاء • وليس للمتهم الأعزل الا ذلك الرجل الذي وقف علفه وفضله ولسانه على الدفاع عنه ، فان

نحن ضيقنا عليه الخناق وحاسبناه على كل لفظ يفلت منه أو تعبير يسبق به إسنانه لم نتمكن من أداء واجبه. فحرية الدفاع ملك للمحاميين، وأعطينا لهم للمصلحة العامة ، لمصلحة المواطنين جميعا ، وليس لأحد أيا كان أن يعتدى عليها .

ولقد وقف محام فرنسي مشهور يترافع في قضية ، فنسب إلى النائب المترافع أنه قد لجأ في مرافحته إلى استغلال الشهوات الضارة وأن هذا ليس بالأمر الحسن ، فعد قوله هذا مخالفة تأديبية وحوكم من أجلها ، وكان دفاعه عن نفسه أن قال : « أما شخص النائب المترافع فمنفصل عن مرافحته كل الانفصال ، فشخصه محل أجلالي واحترامي ، ولا أبيع لنفسي أن أحاجمه ، ولكني أحاجم مرافحته ، فهي ملكي ومن حقي أن أمزقتها أربا وأن أطلأها بقدمي » وقد أدانت محكمة الاستئناف ببائيس وقالت ان من حق المصامى أن يدافع عن موكله ولكن ليس من حقه أن يهاجم . فردت عليها محكمة النقض بأنه لا دفاع بغير هجوم أننا إذا ألزمت المحامى أن يقيس ألفاظه ومعانيه، وأن يفشى ما قد يعطى لها من تفسير لم يقصده وأن يزهب ما قد تؤدي إليه من معان لم تخطر له ببال هأننا نكون قد قضينا على كل مرافعة ارتجالية ، وأطعنا جذوة البلاغة القضائية ، لأنه لا مرافعة بغير ارتجال .

حرية المرافعة (حرية الدفاع)

ولقد حرص المحامون دائما أن يكونوا أحرارا في مرافعاتهم مشتغلين فيما يخططونه من خطة ولا يخضعون لتوجيه أيا كان مصدره . فلا هم خاضعون لتوجيه القاضى ولا لتعليمات صاحب القضية بل يؤدون رسالتهم بما يملى عليهم ضمائرهم لا يرهبون أحدا ماداموا لا يعتدون على أحد الا اذا اعتدى عليهم وما لهم اعتداء الا بالقدر الذى يتطلبه الدفاع . فاذا أخس بضغط من أى نوع كان تعثرت كلثافته

وضعت حجته وفقدت آراؤه جزائرها وانطلاقها ولولا حرية الدفاع
لضاعت الحقيقة بين الناس اذ لا تجد من يعبر عنها ومتى ضاعت الحقيقة
ضاعت العدالة التي هي أساس الحكم وبغيرها تسود الفوضى ولا يقوم
نظام . والمحامون هم أساس ذلك النظام وهم روح العدالة وإذا
كانوا لا يكتبون الأحكام فانهم يعدون لها ببحوثهم ومرافعاتهم فيقدمون
للقضاء المادة الأولية لمناقشته (١١) .

وأولى مميزات المرافعة الجيد هو التواصل بحيث يشعر
القاضي أن هناك رسالة موجهة من ذهن وقلب المحامي الى ذهنه
وقلبه . ويجب أن يكون الالتقاء بالأسلوب الطبيعي حتى ليخيل
للمستمع أنك قد وضعت في مرافعتك حتى تصبح محاميا محترفا
من الطراز الرفيع لأن الناس تتجمع حول المحامي المغمم بالطلاقة أو
مولد الطاعة البشرية صاحب الابتسامة الساحرة الذي يجعل الآخرين
في حالة استجابة دائمة له دائما عندما يجعل مرافعته له طيبة
كالحديث الودي الدافئ الجميل الممتلئ حبوية وصدقا .

وعند بداية المرافعة لمخاطبة القاضي فيحسن ألا تبدأ بالعجل فتك
سمات المبتدئين بل تنشق نفسا عميقا وتطلع الى قاضيك للحظة
واحدة وان كانت هناك ضجة في ساحة المحكمة فترقب قليلا حتى
تتروك ثم ابدأ مرافعتك كما تريد بكل تلقائية وأبعث فيها الحياة
بكلماتك المضيئة .

فقد تكون المرافعة جيدة الأفكار وحسنة العبارات والأسلوب ،
ثم لا تظفر باللقاء جيد فتضيع فائدتها اذ لا يفهمها السامعون ولا تجذب
انتباههم . وقد تكون أقل من ذلك في أعدادها ولكن جودة القائتها تنهى
الى النسمعين كل جزئية منها ، فتكون فائدتها أكبر وأكثر .

الالتقاء الجيد له قواعد من أهمها ما يلي :

١ — جهازة الصوت وقوته •

٢ — حسن مخارج الحروف وتميز أجزاء الكلمة •

٣ — تلوين الصوت وتكييفه ، فيجهر المحامى مرة ويعلو صوته ويلين مرة أخرى حتى يكون كلامه همسا كما يسرع في جملة ويمد صوته في أخرى ولا بد أن يميز لهجة الاستفهام من لهجة الخبر وهكذا لا يستحسن لهذا أن تكون المرافعة مكتوبة ولا محفوظة ولكن على المحامى أن يعد عناصر مرافعته والأفكار التى يريد نقلها ثم يعبر عنها بطريقته ، وهذا يتوقف على مقدرة المحامى الكلامية ومحصوله اللغوى ومحفوظاته الأدبية كما يتوقف على حسن تفكيره وقدرته على تحليل موضوعه •

٤ — لابد من جودة الالتقاء من الاشارات باليد أو غير اليد أيضا فان هذه الاشارات مما يوضح المعنى ويثبت أثره فى مسامعه ، وفى هذا يقول الجاحظ : « والاشارة واللفظ شريكان • ونعم العون له ونعم الترجمان هى عنه وما أكثر ماتتوب عن اللفظ وتثنى عن الخطأ » فالمحامى الذى لا يكون متأثرا بكلامه يفقد أهم صفات المحامى المؤثرة •

أما من ناحية التدريب على الالتقاء فلا بد أن يعد نفسه لهذه المهمة أن يمارسها مرات عديدة وأن يمرن نفسه عليها فى وحدته وبين رفاقه المتدربين حتى يحرز فيها تقدما • هذا كما أنه لابد من التكوين الأدبى بكثرة المحفوظات الأدبية خطبا وشعرا وكتابة مع الدرس التاريخى والتتقيف أمام والقراءة المستمرة حتى لا يكون ذهن المحامى راكدا • وهذا ما يفيد المترافع فى الحالات التى يتعرض فيها للارتجال •

فليست المرافعة غزارة علم أو زخرف كلام ، انما حياة الدفاع فى

طريقة عرضه وحسن اختيار الأدلة ودقة ترتيبها وفي تصوير الدعوى والرد على أوجه دفاع الخصوم وخير المترافعين هو الذى يستطيع أن يستقرئ ميول القاضى ويتابع تفكيره ويسبقه الى مليق فى نفسه من الفواطر والالهامات مما يؤدى الى المزاوجة بين طرق الاقتناع والاقتناع التى من شأنها أن يتبعها قبول حسن من القاضى لرسول صاحب الحق .

وتقوم المرافعة على الاسناد القانونى والتدليل المنطقى وقرع النجعة بالحجة وقوة البيان وثبات الجنان والاستعانة — بقدر — بالثأثير العاطفى لاستدرار عطف القاضى أو اثاره غضبه حسبما يترامى لامدافع تمشيا مع وجهة نظره .

ويتعين أن يكون المترافع يقظا حاد الذهن واسع الصدر والحيطة عند استجواب المتهمين أو مناقشة الشهود لجمعية موكله — ومحاصرة الملقين وشهود الزور حتى تظهر الحقيقة فيكشف البطلان ويتحصل على البراءة .

والارتجال فى المرافعة هو قمة البلاغة القضائية ولا توجد مرافعة بغير ارتجال ويعتمد الارتجال بالدرجة الأولى على حضور البديهة التى هى طبيعتها هبة من عند الله لذلك يلجأ الكثيرون ومنهم بعض الكبار الى كتابة مرافعاتهم قبل الجلسات بلغة المرافعة وهى لغة تختلف فى طبيعتها وأسلوبها عن لغة المذكرات التى تكتب لتقرأ فيضع المترافع لنفسه فى هذه المرافعة التى تبدو طبيعية تصورا للدفاع لا يحيد عنه ثم يقوم بالتقديم عليه أثناء المرافعة بما يناسب الحال من رميده المختزن من المقدمات أو النهايات المرتجلة .

والخطباء وخصوصا المحامى يحتاجون الى حضور البديهة ، وسرعة خاطر ، وربما سئمت للمحامى كلمة من خصمه لم يكن يتوقعها ولكنه يتصيدا بسرعة ويبنى عليها مرافعته ولا تستغنى البديهة

المصادرة عن زخيرة الثقافة والمحصل الأدبي فالارتجال هو موهبة الاختراع في شكله الأكثر بدائية . انه فن التبارى مع المفاجيء والطوارئ ، والافادة من الظروف الغير متوقعة . على الشاب الذى يود النجاح أن يتعلم ممارسة هذا الفن الى درجة يصبح معها رد فعل ، بحيث يكون فكره حاضرا دائما وغير مضطرب البتة عندما يجد نفسه في موقف لم يواجه مثله من قبل ويمثل الارتجال دورا كبيرا في المحاكم . وهو ذو أهمية فائقة في فن تحقيق النجاح في الحياة العملية والتجارة .

طريقة الارتجال

وعلى المحامى أن يكون دارسا تماما لموضوعه وأن يضع في ذهنه أو على ورقة ما النقاط التى يقوم بالتحدث فيها . . وما عدا ذلك يكون خطابه كله مرتجلا وعليه أن يحظى بالدقة ونوع الأسلوب الذى يستعمله لو أراد كتابة مقال مجلة وبهذا الثمن وحده يستطيع أن يشترى ذاك الاحساس التلقائى والاستجابة الطبيعية بالشعور والمساواة بينه وبين سامعيه .

فالعيوب المزعومة التى تنسب الى الخطاب المرتجل هي في الواقع من صور جاذبيته فالجمل الاعتراضية التى تتضمنها والفواصل والعبارات الغامضة والتكرار كلها ذات تأثير فعال لمادامت النقاط موجودة فيه وما دام ذلك المحامى قادرا على أن يواجه حريته أثناء المرافعة الى حبل الوريد .

عدم ارهاق المحكمة

ما من محكمة تستطيع الاصغاء لرجل بانتباه أكثر من ساعة واحد فلا تكثر من الاستمرار في الكلام اذا كان ذلك يرهق المحكمة فاذا لم يكن قد أثقل على المحكمة فليتحدث بالقدر اللازم لشرح جميع

النقاط الأساسية في القضية وهنا يجب على المرء أن يجرمن على
العمود الفقري في القضية فلا يحيد عنه الى الضلوع المتفرقة منه
وبالتالى يجب على المحامى أن يشعر وأن يجعل المحكمة تشعر لا لأن
موكله محظوظ لأنه اختاره كمنهال بل أنه هو المحظوظ لوقوع اختيار
موكله عليه للدفاع في قضيته •

عند الالتقاء يجب ملاحظة النقاط الآتية :

١ — شدد على الكلمات المهمة واخفص على غير المهمة •

٢ — غير طبقات صوتك •

٣ — توقف قبل وبعد الأفكار المهمة •

٤ — غير معدل سرعة صوتك •

فالموهبة حضور وشخصية •

فلنأخذ تعجب بالمحامى المظم بالطاقة حول مواد الطاقة البشرى
صاحب الابتسامه الساحرة ولذلك فإنه يجب أن تجعل خطابك للمحكمة
كالحديث — طبيعيا — عندما تنهض لمخاطبة المحكمة •

ولن تستطيع أن تجعل القاضى يتفهم موضوعك الا عندما تفهمه
أنت وكلما اتضح الموضوع في ذهنك كلما استطعت تقديمه بوضوح
في ذهن القاضى • استخدم أمثلة عامة ووقائع محددة وأحاديث قدسية
والقرآن الكريم ويجب استخدام الكلمات التى ترسم الصور مثل كلمة
الغبوء وحفظ بعض الأقوال المأثورة هو جواز السفر للوصول الى
المحكمة •

وتحسين الأسلوب :

فالمحامى يقاس من خلال حديثه ومرافحته ويجب محاولة صقل التعبير والتحدث بأسلوب جيد بمحرم خرق قواعد اللغة وازغاج الأذان حيث يوجد محام موهوب منحه الطبيعة هبة تأليف الكلمات ومن هؤلاء تأتي أروع الخطب •

المطلب الثانى

مقومات المرافعة الناجح

لاشك أن الخطابة منصب خطير ومرتقى صعب المنال ، لا يصل إليها طالبها بيسر بل يحتاج مبتغيها الى زاد عظيم وصبر ومعاناة ، واحتمال المشاق ليصل الى تلك الغاية السامية •

والنبي ﷺ هو القدوة لكل ناصح وخطيب ، فمهما اقتدى الخطيب بهدى النبى ﷺ نال من النجاح بقدر موافقته وتوفيق الله عز وجل له •

قال الجاحظ : أوتى ﷺ المهابة ، وغشى الله كلامه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والملاوة ، فلم تسقط له حجة ، ولم تعثر له كلمة ، ولم يغلبه خصم وانما أوتى جوامع الكلم ﷺ • كما قال أحمد شوقي :

فاذا خطبت فللمنابر هزة تعرفو الندى وللقلوب بكاء

وتاريخ المرافعة القضائية يرتبط بلا ريب بتاريخ انشاء القضاء ولكن المرافعة نشأت قبل القضاء لأنها نوع من المحادثة ومخاطبة البشر كما أن نجاح المحامى وفشله يرجع الى أمرين رئيسيين : جودة المعلومات التى يقدمها أو ضحالتها ، وحسن القائه أو ضعفه

فالمحامي المطلع الذي يمد القاضى بمعلومات جديدة غير الذى يكرر معلومات يعرفها السامعون والذي يلقى مرافعته بطريقة فنية ، معبرة موجية ، غير الذى يسرد المعلومات سردا وفن الخطابة هو فن مخاطبة الجماهير بطريقة القائية تشتمل على الاقتناع والاستمالة . فمن الخطباء من يكون فائز الالتقاء ضعيف التأثير فتضيع أدلته الكثيرة المقنعة هباء . ومنهم من يأتى بأدلة أقل أو أضعف ولكنه يثير عواطف السامعين ويلهب مشاعرهم فيتمسسون لتنفيذ فكرته ويحاول كل واحد منهم أن يعمل على تحقيق شيء منها بقدر طاقته .

ومن سمات الأسلوب الخطابى وضوح العبارات وظهور معانيها بحيث يكون الغرض الذى يهدف اليه مفهوما للسامعين . وبعض الخطباء يجعل خطبته كلها باللغة العامية وهذا خطأ كبير فاللغة الفصحى لها جمالها وتأثيرها حتى على العامة واستعمال العامية الخالصة أو الاكثار منها يفقد الخطبة هذا التأثير ثم ان بين المستمعين مثقفين ، ولا يستريحون لهذا الأسلوب بل يؤذى شعورهم .

ولن يستطيع المحامى أن يجعل القاضى يفهم موضوعا ما الا عندما يفهمه هو وكاما اتضح الموضوع في ذهنه كلما استطاع تقديمه بوضوح في أذهان الآخرين ويفضل استخدام أمثلة عامة ووقائع محددة في موضوع المرافعة . بحيث أن يعتمد المترافع على منح الحماس والاثارة وبحيث أن يقوم أيضا بتحسين أسلوبه فهو جواز المرور الذى يحمله في عداد المحامين الناجحين لأن الفرد يقاس كل يوم من خلال حديثه بالاستخدام الحقيق والصحيح بحيث يصبح موهوبا بفن هبة تأليف الكلمات ليصل الى أروع الخطب عن طريق سمة المحفوظات الأدبية من الشعر والنثر وماثور كلام العرب

من الحكم والأمثال والوصايا هذا فضلا عن حفظ الكثير من القرآن وحفظ الكثير من الأحاديث النبوية • ونجد المحامين في المحاكم وأعضاء البرلمانات يستمعون بالآيات القرآنية والأحاديث في تأييد وجهة نظرهم وفي رفع أسلوبهم الخطابي • وليس الغرض من هذه المحفوظات هو الاستشهاد ولكن الغرض منها هو اللغة وسهولة التعبير •

وأيضا من أهم الشروط الجراءة والشجاعة والثقة بالنفس بمنا يقول ومن نصائح الأقدمين : انك لا تتعام الخطابة حتى نتعلم القحة والمراد بالقحة عدم المبالاة بأى شئ يكون معارضا له ويرجع ذلك الى الجراءة وقوة الجنان ومن أمثلة ذلك :

أيها السادة الى هنا صفقتم وضحكتم لأن الرجل خدعكم بكلام مسول ولكن انظروا ههنا ما يستحق أن تتأملوه • ومع كل هذه الصفات السابق ذكرها في التدريب العملى والاعداد النفسى لمواجهة الجمهور لابد له أن يتوقع الفشل مرات كثيرة شأنه في هذا الشأن كل متعلم يسقط مرة وينهض مرة أخرى حتى يتم تكوينه وتربيته ، وانك واجد في تاريخ الخطابة أشخاصا كانوا يخطبون للمقاعد الخالية وأمواج البحر ولأشخاص وهميين وقد أجدى عليهم ذاك وخرجهم خطباء متفوقين وممتازين •

ومن شروطه أن يكون عالما باللغة العربية • وبالأخص علم الانشاء كى يقتدر على تأليف كلام بليغ وتنسيق درر مضيئة يشرق نور أسرارها على أفئدة السامعين فيسرحهم ببديع لفظه ويختطف ألبابهم بجواهر آيات وعظه •

ومن شروطه أن يكون لسانا فصيحاً منطلق اللسان معبرا عما يخطر بباله من المعانى الكامنة في ضميره ويبرز ما انطوت عليه السريرة من جليل الفصائح وجميل الارشادات •

ومن شروطه أن يكون وجيها تنهله القلوب وتجله العيون وتعظمه النفوس بهابه الصغير ويوقره الكبير حتى يكون لكلامه تأثير ويجد له سمعا يعى ما يقال ويعمل بما يسمع •

ومن شروطه أن يكون عالما بالقرآن والسنة والفروع واللغة العربية وأن يكون نبيها وسلاحه أدوات الكلام فلا يكون التثنية ولا البدع ومن مقوماته دراسة أصول الخطابة وسعة الثقافة •

ومن أهم شروط المحامي المتراحم أن يقوم بحفظ آيات من القرآن الكريم وحفظ الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية والأمثال العامة والمواظ على الحكم والوصايا •

المطلب الثالث

دستور المرافعة

تمهيد وتقسيم :

نمعرض لدستور المرافعة في هذا المطلب على أن نوضح أولا الدستور الأساسى للمرافعة الجنائية ثم نوضح بعد ذلك دستور العمل على قهر الخوف الناشئ عن المرافعة بعد ذلك •

أولا : دستور المرافعة (١)

١ - لا تتركن على مقدرتك الكلامية ، وبلاغتك في التعبير ، بل أعد قضيتك كما لو كنت لا تحصن الكلام •

(١) حسن الجداوى - أراء متناثرة عن نهضة الجبابة - كنوز المحاماة المرجع السابق - ص ٣٤ •

٢ — الوضوح وحسن التعبير أفيد للمترافع من قوة الحجة • فلا قيمة للحجة إذا لم يحسن المترافع شرحها •



٣ — لا يكفي أن تلقى المرافعة واضحة مستوفية الحجج مرتبة ، بل يجب أن تعرف كيف تعالج قاضيك وتلعب على أوتار قلبه • فالعلم وحده لا يكفي ، وبلاغة التعبير وحدها لا تنفع • بل يجب تخير طريقتك تبعاً لحالة قاضيك النفسية • عليك أن تروض نفسك على الاستفادة بحوادث الجلسة ، وأن تدلى بمجتك في الوقت المناسب ليزداد أثرها ، وأن تعرف كيف تهاجم حين يكون الهجوم ضرورياً ومفيداً • ومتى تصمت حين يكون الصمت أوقع ، ومتى تبتسم ومتى تمس ، ومتى تلجأ لتأثير العاطفة ، ومتى تتحدث إلى عقل القاضى ، فكتراً ما يكون التفصيل مكملاً لصناعة المحاماة •



التمس والعناد في سبيل كسب الدعوى يجب ألا ينسيا المحامى أنه إنما وكل في الدعوى ليهول دون ترك العنان لشهوات الخصوم ولدهم ، ولكيلا يدع مجالاً لأصحاب القضايا فيمكروا على العدالة صفوها • فكل لفظ ناب ، وكل اهانة ، وكل تعرض لأشخاص لا شأن لهم بالدعوى ، أو ذكر لوقائع غير مجدية ، أو سب ، يجب على المحامى الذى يحترم نفسه أن يتجنبه أداء لواجبه ، وتحقيقاً للعدالة •



أن المحامى والقاضى والنائب أقليل ثلاثة تتكون منها وحدة العدالة • فاحترام المحامى للقاضيه وللمثل النيابة ، والالتزام الأدب والنظام والدقة ، إنما هو احترام لنفسه • ولا يكون الاحترام في المظهر الخارجى وحده ، بل هو احترام لرسالة العدالة المقدسة ، وأن حملوا أمانتها ، فهو احترام عميق أصيل • وإنما تما القضاء وسيطر ،

ويمكن له ، وثبتت أحكامه ، على أصوات المحامين ، وبغضل جهودهم
وبحوثهم •

٤ — لا تتراجع للجمهور • إن حجبت تفقد الكثير من قوتها إذا
أحس القاضى أنك لا تسمى لائقاه بل تريد الظهور •

٥ — لا تهجم قاضيك ولا تملكه •

٦ — قد يتراجع المحامى ساعتين ويكون مقلا • وقد يتراجع غيرهم
خمس دقائق ويصبح مقلا •

٧ — أقلل من السفرية • وإذا استعنت بها فكن حصيفا ، فإن
القاضى لا يسره أن تسليه على حساب خصومك • ولكنه يتوقع منك أن
تقدم إليه حججا مقنعة ، يستعين بها في تركيز هيئات حكمه على
أرض صخرية صلبة •

٨ — اجتهد أن تستحوذ على انتباه قاضيك عند أول جملة تقولها ،
ولخص موضوع البحث في ألفاظ قليلة واضحة لتضمن أن يتابعك
القاضى حتى نهاية مرافعتك •

٩ — ليس معنى حرية الدفاع أن تتحدث في مسائل بنهيية ، أو
خارجة عن موضوع الدعوى ، أو تتعرض لأشخاص لا علاقة لهم
بالدعوى •

١٥ — لا قيمة لحرية الدفاع اذا استعملها المحامى فى نشر
المفتريات وجبن عن فضح المظالم .

* * *

١١ — تذكر وأنت تتراجع أن الكلام الغامض من وقائع واضحة
يجعلها غير مفهومة ، فى حين أن الحديث الواضح من وقائع غامضة
يلقى عليه بصيصا من النور .

* * *

١٢ — ان كانت قضيتك ضعيفة فلن تستفيد شيئا من اخفاء نقطة
الضعف فيها ومحاولة الدفاع عما لا يحتل دفاعا . وخير لك أن تعترف
بما لا سبيل الى انكاره ليسهل عليك اقناع قاضيك بقبول ما تريد
اقتناعه به ، فإن الاخلاص فى عرض الوقائع ومناقشة الأدلة هو
سلاحك البتة .

* * *

١٣ — معرفة الحقيقة شيء والتعبير عنها والاقناع بها شيء آخر .
ان اقناع القاضى يتطلب — فضلا عن قوة التعبير — طريقته ، وذلك
السر الخفى الذى لا يتمتع به الا القليلون ، وهو ملكة بث الثقة ، بل
فرضا فرضا على السامعين .

* * *

١٤ — ابتعد عن تعبيرات الملق . لا تطلب شيئا من (عدالة)
المحكمة ، بل اطلب حقه من المحكمة نفسها . فان عدالة المحكمة ان
كانت موجودة فهى فى غنى عن تملكك ، وان لم تكن موجودة فلان
يوجد ما تملكه .

* * *

١٥ — أولى خطوات الاقتناع ان تكسب انتباه من تتحدث اليه .

فإن لم تنل فإن بلاغتك وقوة حججك وأسانيديك القانونية تذهب كلها هباء .

١٦ — احرص على ادخال حججك القوية الى الأذن غير منتظرة الأذن كما يقولون . لا تقدم لها بقرع الطبول ، بل سقاها في الوقت المناسب ، عندما تتبين أن الأذان والقول مهياة لقبولها .

١٧ — اهتم بالجانب المظلم من قضيتك أكثر من اهتمامك بالجانب الايجابي . فالجانب السهل يتولى نفسه بنفسه ،

١٨ — لا تحاول نفى ما لم يثبت خصمك فتستكمل بذاك الحلقة الناقصة من سلسلة أدلته .

١٩ — السبب ليس حجة أيا كان مصدره . والتوكيد ليس دليلا أيا كان قائله . والصوت المرتفع لا يحل اقناعا . انما يأتي الاقناع اذا صدر من القلب . فانما تأتي قوة الرصاصة من قوة البندقية التي تعطفها .

٢٠ — لا ينحصر فن المحامى في اعداد افضل الأسلحة ليستعملها في المعركة ، بل في معرفة كيف يستعملها وخاصة متى يستعملها .

٢١ — ساير قاضيك في طريقة تفكيره هو ، لا في الطريقة التي تعتقد أنه يجب أن يفكر بها ، فمهمتك أن تجعل القاضى يقتنع بحججك ويحكم لك ، لا أن تبين للسامعين أنك مصيب وأن قاضيك مخطئ .

٢٢ — أبداً مراعاتك دائماً في هدوء وتواضع • واسترسل فيها حتى بعد آذان القضاء لسماع صرخات غضبك أو استهجانك الطبيعية وموضوعية ، فلا يستكثرها أحد ولا يستهجنها • أما الصراخ منذ البداية ، والصوت الغاضب قبل أن يدرك السامعون له سببها ، فانه ينفرهم بدلا من أن يسترعى اهتمامهم •

٢٣ — من الغير أن تسأل نفسك من أين تبدأ مراعاتك ، ولكن الأفضل أن تعرف متى وكيف تنتهي منها . فان الاطالة ضارة بالتكرار أضر ، واملا القاضى أسوأ وقعا منهما •

٢٤ — يجب أن يكون الدفاع كاملا والا كان . بلا جدوى • كالصرف الأبجدي لا قيمة له الا بالأحرف الكاملة للكلمة •

٢٥ — القاضى ومحامى الخصم وممثل النيابة وشهود الدعوى يخضعون جميعا للمحامى الملم بقضيته • اذا خسر دعواه — كما لا بد أن يحدث أحيانا — فانما يخسرها وهو مقتنع بأنه لم يضيع أمام القاضى ، ولا تغلب عليه محامى الخصم ، وانه انما خسر دعواه لأن المدالة اقتضت ذلك ••• أو لسوء حظ موكله ••• ولكنه يستطيع أن يخرج من الجلسة رافعا رأسه ، راضيا عن نفسه ••• لأنه لم يقصر فى أداء واجبه •

٢٦ — ابتعد عن الخطأ ، فالوقوع فيه سهل ، والتخلص منه صعب •

٢٧ — اذا تبادل قضائك الحديث أثناء مراعاتك ، فافترض أنهم

يثبادلون الرأي في قضيتك • فلا تغضب ولا تظهر استياء بل توقف عن المرافعة ودعهم يصلوا الى رأى في الحجة التى كنت تدلى بها ثم أعد عرضها مصقولة في ثوب جديد •

٢٨ - الحجة المتكررة كالطعام الذى يصاد تسخينه كن طبيعيا لا تتواضع كبيرا ولا تتكبر عجرفة • لا خضوع ولا استعلاء لا تكثر من الحركات • انك تجعل القاضى يلتفت الى حركاتك ولا يصغى الى حديثك •

ثانيا : كيفية قهر القلق عند المرافعة

ان الحقيقة الواضحة أنه مهما كتبت ومهما قرأ القارىء الكريم عن أسباب القلق في الدعاوى وخاصة الجنائية فان ذلك لن يحل كثيرا من المشاكل النفسية عند نظر كل دعوى •

ولكن دعونى أوفر لحضراتكم بعض النقاط الأساسية التى يجب أن يكون عليها المحامى حتى يستطيع أن يتغلب على القلق الذى يسببه انشغاله على القضية •

١ - اسأل نفسك عن أسوأ الاحتمالات التى يمكن أن تحدث ثم هبى نفسك ذهنيا لقبول أسوأ الاحتمالات فاذا حدثت نسبة أقل فهذا أيسر •

٢ - لا تفكر في بداية القضية كثيرا وتتشغل على نتيجتها بل اعمل فالعمل هو خير سلاح للقلق في هذه الحالة •

٣ - اذا حدثت نتيجة قضية غير متوقعة فارض بما قسمه الله لك وارض بما ليس منه بد • وما تشاؤون الا أن يشاء الله • وقدر الله وما شاء فعل وارادة الله فوق كل ارادة • وبالتالى اجنله في حكم الماضى ولا تفكر في التامضى فليست هناك

قوة بوسمها إعادة الماضي وانشد ذهنك بفواطر الطمأنينة والشجاعة
وأن تتجنب القصاص من الفصوص فأنت مجرد وكيل *

٤ - استرح قبل أن تبدأ تلك القضية وتعلم كيف تسترخي
وأنت تراول عملك *

٥ - لا تجادل إذا كنت مخطئا واعلم أن خير السبيل لكسب جدال
هي أن تتجنبه وسلم بخطئك إذا كنت مخطئا *

٦ - بالنسبة للموكلين كن مستمعا طيبا وشجع غيرك على الكلام
عن نفسه وعن قضيته وأظهر اهتماما بالناس وابتسم فمن لا يستطيع
الابتسام لا يجوز أن يفتح مكتبا للمحاماة وأجعل الموكل يشعر بأهميته
باسباغ التقدير والفت نظره الى أخطائه من طرف خفي *

٧ - قدر للقضية أسوأ احتمال تراه وأخبر به الموكل فإذا حدث
أقل فلن يكون هناك أثر *

وفن الحديث الفاص مع رواد المكتب يكمن في النقاط الآتية :

ابتسم تبسم لك الدنيا

وأجعل مصافحتك حارة

والصدائة رائحة

إذا لم تتفق في الرأي فكن صبوراً وأحب لأخيك ماتخيه لنفسك

فالتذرع بالفشل فرار من المسؤولية

ولا تفقد زوَج الفكاهة وتذكر أن من لا يستطيع الابتسام لا يمكن
أن يكون محاميا ناجحا *

ودع الشكوى وكن متفائلا *

كما يجب مواجهة الحقائق بصبر وشجاعة •

وارسم برنامجك وفقا لاتجاه مزاجك •

ويجب أن تتشد الآسترخاء دائما كما أن الارتواء الجنسي المشروع هو الطريق الطبيعي للراحة النفسية •

فلنحاول اذن أن نحدد الصفات الطيبة في كل انسان نلقاه •

انسى الملق وامنح تقديرك المخلص المنزه • كن مبذرا في مديحك
مسرعا في تقديرك يحذر الناس كلماتك سنوات طوال حتى بعد أن
تُنساها أنت •

ست طرق لكي تحبب الناس اليك :

١ — اظهر اهتماما بالناس •

٢ — اهتمهم •

٣ — اذكر أن اسم الرجل هو أجمل وأحب الأسماء اليك •

٤ — كن متحدثا طيبا وشجع محدثك على الكلام عن نفسه « كن
محدثا بارعا » •

٥ — تكلم في يسر محدثك ويلذ له •

٦ — اسبغ التقدير على الشخص الآخر واجعله يشعر بالاهمية •

لن يسر الصفات الناجحة أن تصلى باهتمام لمحدثك فلا تسىء آخر
يسره أكثر من ذلك • مستمع صبور عطوف •

الفصل الرابع

بعض المرافعات

النصف قرن الأولى من القضاء

جمعها حضرة صاحب العزة مصطفى هني بك (١)

قضية مقتل المرحوم بطرس غالى باشا

أمام محكمة الجنايات المشكلة تحت رئاسة جناب المستر دليوزوغلى
وبحضور حضرات أمين بك على وعبد الحميد بك رضا مستشارين
دور شهر أبريل سنة ١٩١٠

قطع من مرافعة حضرة صاحب السعادة عبد الخالق ثروت باشا
النائب العمومي

ان الجناية المطروحة عليكم اليوم ليست من الجنايات العنادية ،
بل هي بدعة ارتج لها القطر بأكمله ، ابتدعها الوردانى فيه وكان الى
اليوم طاهرا منها •

لم يكن من قصدى أن أطيل الكلام فى الجريمة من حيث ثبوت
ارتكابها ، فإن المتهم سجل على نفسه باقراره مسجواً فى التحقيق أو
أمام قاضى الاحالة أنه قتل المرحوم بطرس باشا عمداً بعد سبق إصرار

(١) من الكتب الذهبى - ص ١٩١ وما بعدها - المرجع السابق .

على القتل والترصد له ، ولكن الدفاع أسمعنا في الجلسة الماضية ٣٣ شاهدا . سمعت شهادتهم وفكرت فيها فألفيتها تصوم من بعيد حول نقط يريد الدفاع أن يدرأ بها عن المتهم مسؤولية القتل من جهة خاصة ، ويخفف بها مسؤوليته عن الجناية من جهة عامة .

فكان لابد لنا من الكلام عن هاتين المسألتين وإن كنا لا نرى هذه الطريقة التي يسلكها الدفاع إلا بعيدة جدا في التأدية الى هذه الغاية .
ويمعد أن تكلم سعادة النائب العمومي عن هاتين المسألتين بإسهاب قال سعادته :

« ان الورداني بجنايته قد عمد الى خرق حرية القوانين السماوية والبشرية . عمد الى قتل النفس التي حرم الله قتلها . عمد الى اذهاق روح بريئة من غير ذنب . عمد الى حرمان انسان من أقدس حق له في هذه الدنيا . عمد الى حرمان عيلة من معيها وأمة من رجلها وحكومة من رئيسها . عمد ، وأطاع هواه ، وأطلق رصاصته ، فماذا جرى ؟

فانظروا يا حضرات القضاة كم أساء الورداني بجنايته الى هذا البلد الأمين الأسيف ! فماذا جنت عليه مصر ؟ ولماذا هو يضرها كل هذا الضرر ؟ لعله يدلى بخدمة الوطن .

ان الوطنية التي يدعى المتهم الدفاع عنها بهذا السلاح المسموم أبرأ من مثل هذا المنكر .

ان الوطنية الصحيحة لا تحل في قلب ملثمة مبادئ تستحل اغتيال النفس . ان مثل هذه المبادئ مقوضة لكل اجتماع .

فماذا يكن حال أمة اذا كانت حياة أولى الأمر فيها رهينة حكم فتووس بيوت ليلة فيضطرب نومه وتكثر هواجسه ، فيصبح صباحه ، ويجعل سبلاجه ، يفتشاهم في دار أعمالهم فيسقيهم كأس الخون .

ثم استطرد سماعة النائب العام في الكلام الى أن قال :

ماذا يريد الورداني ؟ أيريد ألا يكون حكم ولا حاكم ؟ أيريد أن تكون الفوضى بعد النظم ؟ أيريد ضرا ودمارا عاجلين ؟

هذه ، يا حضرات القضاة ، الغاية التي استحل الورداني من أجلها قتل النفوس ليصل بوطنه اليها خدمة له ومحبة فيه .

هذه هي الغاية التي ظنها شفيما له لديكم ، وسببا لمطفكم عليه وشفقتكم به .

ان جناية الورداني لأشد ضرا ألف مرة من جناية كل مجرم قاتل أو سارق أو قاطع طريق ، فان هؤلاء جنائيتهم فردية وجناية الورداني على أمته ووطنه . وهؤلاء يمكن الاحتراس منهم وتوقي أضرارهم ، وهو يأخذ الناس في مأمهم غيلة وعلى غرة منهم وما لهم منه من ذاقه .

ان كان الورداني أراد بفعلته أن يخدم بلاده فلقد ساء طريقه الى هذه الخدمة . ان كان أراد أن يحييها من الجنابة فلقد صدع كيائها صدعا ، وأضر بها ضرا بالغاً بتلطيفه صحيفتها بالدماء وقد كان أمامه لخدمتها طريق من طرق مشروعة .

كان في وسعه أن يحارب خصمه بغير ذلك السلاح القاتل ، فان كان على حق خرج من هذا النضال بطلا شريفا سائرا به وينفسه الى خدمة الوطن ، لا أن يلقي اليه تلك الرصاصات ليذهب به الى عدم يسير اليه قاتلا أثيما . بثست المبادئ مبادئ ، ولعنة الله عليها باسم الانسانية التي انتهك حرمتها ، والحرية التي خرق سيلاجها ، والوطن الذي جنى عليه .

يا حضرات القضاة : الآن بيدكم الأمر . ان هي الكلمة تخرج

من أمواهم لا تسألون عنها إلا أمام ضمائرهم وأمام الله سبحانه وتعالى ، وبها يحددون ظلمات أحاطت بالبلاد ، وبها تستأصلون جرثومة خبيثة يخشى منها على عقول النشء . وأنا على يقين من أنكم ستجيبون صوت الحق والمعل .

فالإنسانية تستصرخكم لما أصابها من جراء هذه الجناية الفظيعة فتتمكمون بالأعدام على هذا الجاني .

دفاع

حضرة الأستاذ محمود بك أبو النصر

لما دعينا للدفاع في هذه القضية تمثل لنا ذلك الحادث الجال ينتججه وأسبابه ، ف شعرنا بعظم المسؤولية التي احتملناها أمام ضمائرنا وأمام الله والانساس . نعم ان المسؤولية كبرى ملكنا لننتقم الى احتمالها أولا نقتل بعدل القضاء واستقلاله .

حدث ذلك الحادث الأليم فعمت الدهشة البلاد ، واستمكم الذهول في بعض العقول ، فتسرع من تسرع الى اتخاذ مئارا لاحقاد وضغائن يشهد الله أن لا وجود لها الا في بيداء الخيال والوهم .

نعم سمعنا ، والأسف ملء قلوبنا ، سمعنا صيحة كانت أمسبه بأصوات الانتقام منها بتكليف الحالة الواقعة . أوشك الجو بهذه الصيحة أن يزداد ظلما فتشابه الأمر ، واتسعت دائرة المسؤولية الجنائية عن مركزها الحقيقي . أخذ البريء بغير البريء ثم سيقوا جميعا الى المحاكم فلم يلاقوا من عدل القضاء واستقلاله سوى ماتملمون . وكان من نتائج هذا التحويل في هذا الحادث والخروج به عن حد العقول وحقيقته الثابتة أن قلم بيننا بالأمس ذلك الضيف الكريم يعرف بما لا يعرف . ليقه وقف بتهجمه عند هد البحث — خطأ أو

صوابا - في كنه ذلك المصاب العظيم ، ولكنه أجلس نفسه ظلما على منصة القضاء وأصدر حكمه في قضيتنا كما يشاء (يقصد بذلك خطبة المستر روزفلت التي اتهم فيها الأمة بالتعصب الديني) •

أجل يا حضرات المستشارين • لا مثل هذه الصيحة المنكرة ، ولا ماهو أشد وقعا منها ، وأجد سبيلا الى نفوسكم الكبيرة وعقولكم الرزينة في تقدير مسئولية الورداني. ذلك الذي اختارته الأقدار ليكون حكمكم في حادثته مظهرا جديدا من مظاهر الاستقلال القضائي في محاكمنا الجنائية • اختارته ليكون حكمكم في قضيته برهانا ساطعا على وجود تلك الضمانة الكبرى في قضائكم المتعالي عن الشبهات • اختارته ليكون حكمكم في هذه الظروف اثباتا شافيا للناس عن معنى ذلك الثبات الكامل ، والسكينة المطلقة ، والتجرد عن كل شيء الا عن النظر الحر في تلك الحادثة مع رعاية الظروف والأسباب فلا تهزمكم صيحة ، ولا تؤثر في رأيكم فوضاء •

ثم أخذ الأستاذ أبو النصر يتكلم عن سبق الاصرار والسبب الذي دفع المتهم الى ارتكاب جرمه • وبعد أن انتهى من كل ذلك تقدم الى المحكمة بطلب الرحمة • ومما قاله في ذلك :

لا أريد بالرحمة أن تتجاوزوا للمتهم عن شيء مما يستحقه غدا ، لأنني لا أقول ان الرحمة فوق العدل ، بل أقول ان الرحمة هي أقصى وأسمى مرتبة من مراتب العدل • فاذا طلبتها فانما أطلب العدل في أرقى معانيه •

أطلب العدل المجرد من كل مؤثر • ذلك العدل الذي يقضى بقصاصين ، مختلفين اختلافا كبيرا ، على شخصين ارتكبا جريمة واحدة في ظروف متشابهة لما يتبين فيهما من اختلاف الطبائع ، وتفسير المقاصد وتباين الأسباب •

انى على ثقة تامة من أنكم ستقدرون لهذا المتهم من زمان العقوبة
ما يصلح تقديره لظنه • وبديهي لديكم أن قليل العقوبة عنده يعادل
كثيرا عند غيره من المجرمين العائنين •

رب ساعة واحدة في السجن تعادل شهرا أو أياما • العقوبات
مقدورة ، وأرقاها في سلم العدل ما روعيت فيه أحوال الإرادة صحة
واعتدالا وقوة وضعفا ، وهو مالا سبيل اليه الا باعتبار الشخصيات
الذاتية لكل منهم ، والظروف الخصوصية لكل تهمة • فإذا اقتضى
العدل أن تعاقبوا فلنكن العقوبة على هذا المبدأ القويم •

فاحكموا وسيحفظ التاريخ حكمكم في هذه القضية ليكون آية من
آيات العدل • فلا تنسوا للمتهم ما قدمته من الاعتبارات ، وعلى
الخدموس تصرره له عن سبق الإصرار ، وتطلب الأسباب على إرادته
وذئرها في مزاجه العصبي الى الحد الذى عرفناه •

دفاع

حفرة الأستاذ أحمد بك لطفى بك المحامى

ترافع الأستاذ أحمد بك لطفى عن المتهم وطلب الى المحكمة اعتبار
الواقعة مجرد شروع فى قتل لأن الوفاة لم تنشأ عن الاصابات التى
أحدثها به المتهم • وكذلك طلب أن يوكل الى طبيب اختصاصى لفحص
المتهم لتقدير مسؤوليته عن الجريمة التى ثبتت عليه • وبعد الانتهاء
من دفاعه خاطب المتهم بما يأتى :

أما أنت أيها المتهم

فقد همت بحب بلانك حتى أنساك ذلك الهيام كل شيء حولك ،

أنسالك واجبا مقدسا هو الرأفة بأختك الصغيرة وأمك الجزينة فتركتهما
بيكيان هذا الشاب الغض ، تركتهما يتقلبان على جمر الغضا ، تركتهما
يقلبان الطرف حولهما فلا يجدان غير منزل مقفر غاب عنه عائلته .
تركتهما على ألا تعود اليهما وأنت تعلم أنهما لا يطيقان صبرا على
فراقك لحظة واحدة فأنت أملهما ورجاؤهما .

دفعك حب بلادك الى نسيان هذا الواجب ، وحجب عنك كل شيء
غير وطنك وأمتك ، فلم تعد تفكر في تلك الوالدة البائسة وهذه الزهرة
اليلانة ، ولا فيما سينزل بهما من الحزن والشقاء بسبب ما أقدمت
عليه .

ونسيت كل أملك في هذه الحياة ، وثقت ان السعادة في حب
الوطن وخدمة البلاد ، واعتقدت أن الوسيلة الوحيدة للقيام بهذه
الخدمة هي تضحية حياتك ، أى أعز شيء لديك وادى أختك ووالدتك ،
فأقدمت على ما أقدمت راضيا بالموت لا مكرها ، ولا حبا في الظهور .
أقدمت وأنت عالم أن أقل ما يصيبك هو فقدان حريتك ، ففى سبيل
حرية أمتك بمت حريتك بثمن غال .

فاعلم اذا أيها الشاب أنه اذا تشدد معك قضائك — ولا أخالهم
الا رامحيك — فذلك لأنهم خدمة القانون وهذا هو السلاح المستول
في يد العدالة والحرية ، واذا لم ينصفوك — ولا أظنهم الا منصفيك —
فقد أنصفك ذلك العالم الذى يرى أنك لم ترتكب ما ارتكبته بقية
الاجرام ولكن باعتقاد أنك تخدم بلادك ، وسواء وافق اعتقادك
الحقيقة أو خالفها فتلك مسألة سيحكم التاريخ فيها . وان هناك
حقيقة عرفها قضائك وشهد بها الناس وهى أنك لست مجرما شافكا
للدماء ، ولا فوضويا من مبادئك افتك بينى جنسه ، ولا متعصبا دينيا
خلته كراهية من يدين بغير دينه . انما أنت مفرم ببلدك ، هائم
بوطنك ، فليكن مصيرك أعماق السجن أو جدران المستشفى فإن

صورتك في البعد والقرب مرسومة على قلوب أهلك وأصدقائك • وتقبل
حكم قضائك بإطمئنان واذهب الى مقرك بأمان •

مرافعة

حضرة الأستاذ ابراهيم الهلباوى بك

بعد أن ترافع الأستاذ الهلباوى بك فى القضية وبين الظروف التى
ارتكبت فيها الحادث وحالة المتهم المصيبة ختم مرافعته بالكلمة الآتية :

خدمت نحو الخمسة والعشرين عاما محاميا ، ولم يخطر ببالي
يوما ان أسأل أو أقرأ سبب اختيار الرداء الأسود حلة رسمية للمحامى
الذى يتشرف بالدفاع بين يدى القضاء ، ولا سبب انتخاب اللون
الأخضر للوسام الذى تزان به صدور من عهد اليهم اصدار الأحكام
الدينية •

أما الآن وقد أبعدت من قلبى هذه القضية كل راحة ، وجعلتنى
مرآة لتلك القلوب المنفطرة كأم المتهم وشقيقته وبناتى أهله ، قلت ان
كان مختار هذه الألوان أراد باللون الأسود رمز الحداد والمصابين للمحامى
الذى يمثل القائم هو بالدفاع عنه ، وبالألوان الأخضر الذى يتحلى به
صدر القاضى ، الرمز الى البطاوس ذى الريش الأخضر وهو مثال
لملائكة الرحمة ، فنعم الاختيار •

كأننا نحن ، هنا فى هذه القاعة ، أمام أولئك القضاة المشبهين
بملائكة الرحمة على سطح هذه الأرض ، نقوم — على نوع ما —
بمأمورية شبيهة بمأمورية أولئك الأحرار فى هياكلهم الذين اتفخوا
مثلنا ثياب الحداد وهم يتضرعون الى مبدع السموات والأرض بأن
يفيض على الأرواح المذاهبة الى دار الخلود سحب رحمته وغفرانه •

ونحن هنا نقول لكم انكم تذكرون أنه ليس دائما بمقدور لهذا الانسان الضعيف أن يحمي نفسه من الخطر والزلازل، وأن يعيش معيشة الملائكة، فتقبلوا دعائنا في طلب الرحمة للأحياء كما يتقبلها من أقامكم حكما في عبادته ، والذي علمنا أنه كما أن من صفاته العدل فإن من صفاته الرحمة ، وعلمنا فوق هذا أن الرحمة فوق العدل .

الآن لي كلمتان أوجههما الى المتهم بين يدي القاضي : الأولى أنى إذا كنت قاسيا عليه في نعته فلانى خاضع لقانون ليس دائما — من سوء البحث — ملتثما في أحكامه مع ما توصى به الذمة والضمير ، لأنه مضطر في أحوال كثيرة — رعاية لسلامة المجتمع البشرى وصيانته — أن ينظر نظرا آخر في تعريف الحل والحرام ، ونحن المحامين أحق الناس بالأدب والخضوع لهذا القانون . فإذا قبل الدفاع عذرك أيها المتهم وعرضه على قاضيك فطع بك أنت أيضا أن تتقبل قبولاً حسناً عذر الدفاع فيما خالفك فيه من عقائدك السياسية . الثانية أنى إذا أنزلتكم منزلة المجرمين العاديين وطلبت لك الرحمة والغفران ، فلأن ذلك واجب أيضا يقتضيه الدفاع . ولكن إذا أثبت نفسك أن تعيش بين السلاسل والأغلال ، وأن تعيش معاملا معاملة الأشقياء وقطاع الطريق فارفع نفسك عن هذا السبيل ، واقبل نبال الموت بقلب البواسل ، فالموت آت لا راد له ان لم يكن اليوم فتدا . اذهب الى لقاء الله الذي لا يرتبط الا بعدالته المجردة عن الظروف والزمان والمكان ، اذهب مودعا منا بالقلوب والعبرات . اذهب فقد يكون في موتك بقضاء البشر عظة لأمتك أكثر من حياتك . اذهب فإن قلوب العباد إذا ضاقت رحمتها عليك فرحمة الله واسعة .

مرافعة

حضرة صاحب السعادة عبد الخالق ثروت باشا

النائب العمومي

لدى المحاكم الأهلية

في قضية المؤامرة نمرة ٩١ جنايات سائرة الأوبكية سنة ١٩١٢
المتهم فيها أمام وأكد ومحمود طاهر العربي ومحمد عبد السلام
في دور أغسطس سنة ١٩١٢

ان أول كلمة افتتح بها مرافعتي اليوم هي حمد الله على وقاية
البلاد من نكبة لم يشهد التاريخ مثلاً .

امتدت منذ عامين يد أثيمة أودت بحياة كبير الوزراء المصرية اذ
ذلك فأصابته بموته كبد الأمة المصرية فتتاجزت عناصرها ، وتنافرت
قلوبها ، وتمثلت في الاقطار — بعد أن كانت مثال الهدوء والطمأنينة —
أمة هائجة ملجئة ليس لأحد بينها اطمئنان على نفس ولا مال .

بلاء عظيم وخطب كبير ! ما كانت البلاد لتخلص من نتائج
المشتومة ، وعواقبه السيئة ، لولا ما أتاح الله لها من أمير رحيم برعاياه ،
محب لشعبه ، أخذ بحكمته وعالي مقدرته يعمل بمونة رجاله
ومشيره على تقويم ما كاد ينقض من دعائم سعادة البلاد ، وتجديد
ما غشى سمعتها من السوء ، ومداواة ما أصابها من الانحلال .

بينما كان سيد البلاد يحفظه الله يعمل على مداواة هذه الأدواء
ليل نهار لا يعتريه في ذلك ملل ، ولا تثنيه عنه مشقة ولا تعب ،
حتى أخذت الأمة بفضل تلك الأجهاد الشريفة تتنسم نسيم الاتفاق

بعد الانشقاق ، والالتئام بعد الانقسام ، وأخذت بشائر الأعمال تثبت
في النفوس الآمال بتحسين الحال والاستقبال ، وأضحت الأمة تلمخ
بريق اليسر بعد العسر ، والفرج بعد الشدة كانت إبان ذلك تختمر من
وراء ستار عزائم شر وخبيث ، من ورائها كيبر البلايا والمصائب .

نعم كانت هناك فئة من الأغرار المفتونين طاشت أحلامهم ،
وعميت بصائرهم وقلوبهم ، وخبثت نفوسهم فلم يروا من النور إلا
ظلاما ، ومن اليسر إلا عسرا ، ومن الخير إلا شرا ، ومن النظام إلا
ظلما ، ومن وجوب المحافظة على القانون إلا استعبادا ورقا .

فئة عطلت عن التربية الصحيحة ، وتسمعت عقولهم بشر المبادئ
فلم يروا للبلاد - وهي في طمانينتها سائرة في طريق سعادتها - خيرا
من أراقة الدماء فيها أنهارا ، والإيذاء بنفوس عالية غالية تدأب أبدا
لخير أمتهم البريقة مما كانوا يفعلون .

ألم يروا خيرا من قتل كبار البلاد المخلصين لها ، خيانة وجبنا ،
واغتيال الأرواح الطاهرة المطمئنة ، خلصة وخسة . هؤلاء هم أولئك
المتهمون المائلون أمامكم اليوم ليلقوا جزاء شرورهم ، وسوء ملكانوا
يحبون ، وان في تاريخهم لعبرة .

ثم أخذ سمادة النائب العام يتكلم عن تاريخ حياة المتهمين
وأخلاقيهم وشعورهم نحو حكومة ذلك الوقت ، مستشهدا على ذلك بما
كان يكتبه المتهمون . ثم أخذ في سرد وقائع الدعوى وتكلم عن التطبيق
القانوني ثم ختم مرأعته بما يأتي :

الآن يا حضرات المستشارين ، وقد قمت بواجبي في هذه القضية
من شرح أدوارها وتفصيل وقائعها وبيان أدلتها ، لم يبق إلا كلمة
أوجهها إليكم خصيصا أنادى بها فيكم الحكمة والنظر البعيد .

أنادى الحكمة والنظر البعيد ولا أنسى أن فيكم معهما الرحمة
والمحل .

كان لنجاة البلاد من كبرى الكوارث هزة جهور وضجة حمدا لله
على دفعها .

ولكن عثم هذا الشعور ما أدركه الحكماء منا أن الداء الذي كنا
نأمل أن أولى جراثيمه قد أتى عليها القضاء العدل من عامين ، قد ولد
جراثيم أخرى هي في الخطر مع الأولى سواء .

أدرك الحكماء منا ذلك ، وأدركه بعدهم الناس عامة فملثوا ذعرا
ورعبا ، وحق لهم أن يذعروا من أن تصبح الأرواح الغالية تحت رحمة
أغرار لا عقل ولا تربية .

ان أشد ما ينتاب بلادا من الفوضى والاضطراب أو يصاب حكماها
وساستها في طمانينتهم على أرواحهم من جراء قيامهم بالواجب
المفروض عليهم .

أنى أخشى أن أزيد رعب الناس ان قلت ان الداء الذى نخشاه
هو ذلك الخطر الجلل ، ولكن خير لنا أن نعلم من أنفسنا الآن ما قد
نأسف على فوات معرفته يوم لا ينفع الندم .

نعم خير لنا أن نعرف مقدار هذا الخطر الداهم ، فما أشد الحالة
التي يضبط فيها الانسان رهين حكم متعوس قد يرى في كلمة أو عمل ،
مما خير ما تقضي الظروف وتعليه الحكمة الصحيحة والعقل الراجح ،
مثار للقتل ومسوغا للاعدام .

اننا أملم تيسار جارف ان لم نقف في سبيله نرك بمعقول سفهاء
تجلبنا الى منزلق فيه بلاه البلاد .

لقد بدأ هؤلاء الشبان يفكرون في استباحة القتل وإراقة الدماء
تفلسفا مما صور حمقهم من الشقاء قبل أن يفكروا في الخلاص من
جهالتهم التي هم فيها يعمهون •

إن هذه الأفكار الطائشة الخطرة كالسلاح في يد المجنون الهائج
إن لم يعجل بنزعه منه قوة وإقدارا كانت العاقبة وبالا •

وعلى من هذا الواجب الخطير الشريف ؟

إنه عليكم الآن يا حضرات المستشارين •

امحوا هذه الأفكار الخطرة ، وانزعوا هذا السلاح القاتل •

انزعوه من أيدي هؤلاء المفتونين قبل أن يصيب البلاد شره
المستطير •

انزعوه بحكم ترضاء الحكمة وأصالة الرأي •

إنكم بذلك لا تكشفون الرحمة والعدل ، بل تزيحونهما رواء وجمالا •

أليس من الرحمة والعدل أن تحموا أرواح الأبرياء ؟

أليس من الرحمة والعدل أن تبعثوا الطمأنينة في القلوب الواجفة ؟

أليس من الرحمة والعدل أن ترحموا صفارا كالغصون الرطبة
أوشكت أن تلتوى على الشر تقليدا أعمى للمتهمين وأمثالهم ؟

قد أجهدت نفسي في هذه القضية حتى أطمان ضميري واقتنع بأن
من وضع القانون يده عليهم هم الجناة العاتون ، فبحسبهم للقضاء
العادل لينالوا جزاء شرورهم وسوء ما كانوا يدبرون •

قدمتهم وأنا راج أن ما التفتت به بحق في إجرامهم مستيقنع
ضمائركم بعد الروية والنظر الصحيح •

قدمتهم وأنا مؤمل أنكم ستقفون حيال شرور كثيرة وتردون عن
البلاد بؤسا وشقاء كان المتهمون مجلبة له •

أنتم يا حضرات المستشارين من خيرة أبناء البلاد وأعرف الناس
بأحوالنا وأدواتنا ، فزنوا نتائج ما كان المتهمون مقدمين عليه •

زنوا نتائج ذلك ونتائج حكم حكيم يمحو هذا السوء ، ويقينا
شر ماكاد يدهمنا ، وما نحن منه موجسون •

زنوا ذلك وعلّموا صغار الأعلام والطائشين أن اللعب بالنار غيه
أذى وآلام وحرق وسقلم •

ان هي الا كلمة تتلقون بها ترجو الأمة أن يكون من ورائها عبرة
كبرى لأمثال هؤلاء المتهمين فلا تقوم لهم من بعدها قائمة •

قد كان شديدا علينا يوم أن جر على البلاد ما فعله السفهاء من
ضرورة سن قانون الاتفاقات الجنائية • ذلك القانون الاستثنائي الذي
في وجوده مسببة على أمن الديار ، وحجة قائمة على أننا دائما تحت
خطر الاضطراب والهباج •

كان ذلك علينا يوما عصيبا ، لن يعون شقاه ويخفف من رزئه
الا الأمل في ألا يشهد المستقبل ذلك اليوم الذي تمس فيه الحاجة الى
المعمل به •

كم كنا نؤمل ألا يأتي ذلك اليوم الكريه ، ولكنه أتى على أشنع
مانكره وأبشع ما كنا نخاف •

أتى ذلك اليوم العصيب ، وتوافق هؤلاء الأشرار على قتل رؤوس
البلاد وحماتها ، وهل بعد ذلك من مصيبة ؟

توافقوا على ارتكاب هذه الجريمة الهائلة التي لا يمكن أن ينطبق
هاذا القانون على جريمة أفظع منها •

أن كان شديدا علينا أن يوجد بين قوانيننا مثل هذا القانون فأننا
— بعد أن قدر علينا أن تقع هذه الجريمة في حيارنا — لا مناص لنا
من الاعتراف الآن بأنه السلاح الوحيد الذي نستأصل به اليوم هذه
الجرثومة الفاسدة •

نعم هو سلاحنا الوحيد في ذلك قد وضعناه في أيديكم نسألكم أن
تصرعوا به هذا الشر الذي بحت نواجذه وكثر عن أنيابه •

أصرعه بأشد ما في القانون الذي يبيحكم •

ليس في ذلك من قسوة ولا تحيف فما أشد مانحن فيه من
الظروف II

قضية اغتيال المأسوف عليه السير لى ستاك باشا سردار الجيش
المصرى والمتهم فيها عبد الفتاح عناليت وآخرون أمام محكمة
جنايات مصر المشكلة برئاسة حضرة صاحب السعادة أحمد عرفان
باشا وعضوية كل من المستر كرشو ومحمد مظهر بك
في دور شهر مايو سنة ١٩٢٥

مرافعة

حضرة صاحب السعادة محمد طاهر نور باشا

النائب العمومي

قبل أن أشرح لحضراتكم وقائع هذه الحادثة المؤلة التي نم يشهد
تاريخ الحوادث الجنائية في مصر مثلها ، أكرر أسف الأمة على مصابها
في قائد جيشها الذي قتل من أيد أئيمة وهو قائم بخدمة مصر التي
لا تنسى له خدمته كما لا تنسى جميل كل من أحسن عملا فيها .

نعم قد جزعت الأمة لمصابها في قائد جيشها ، لجناية ارتكبها فئة
من الأغرار المفتونين الذين طاشت أعلامهم ، وعميت بصائرهم فخرجوا
على إرادة أمتهم ، وانتحلوا لأنفسهم سلطة القضاء في مهامهم يناطوا
بها . جزعت لهذه الحادثة جزعا بادى الأثر ، فقد أظهرت مصر من
أقاصيها إلى أقصائها اسمئزازا ونفورا أوجت بهما عاطفة صميمية كاملة
في نفوس هذا الشعب الذى يأبى أن يحقق آماله الشريفة الا بالوسائل
المشروعة .

استغفلت الأمة هذا الجرم واستتكرته ، واشترك في هذا

الاستتكار والاستفزاز الصغير والكبير ، وعلى رأس الجميع مولانا
المعظم جلالة الملك حفظه الله .

ان مصر أم الحضارة والمدنية قديما ، والتي لا تتكر منزلتها في
عالم العلم والحضارة حديثا .

مصر التي يضرب بحسن ضيلفتها الأمثال وشعارها (أحرار في
بلادنا كرما لصيوفنا) .

مصر ، مثال الهدوء والطمأنينة ، قد تمثأت في البلاد الأخرى
بسبب هذه الكارثة والحوادث السابقة عليها أمة هائجة ليس لأحد فيها
اطمئنان على نفس أو مال ، حيث قال عنها بعض الصحف الأجنبية :
« ان من الصعب الاعتقاد بأن أى أسف أو اعتذار أو تعويض يعوض
عن اعتداء من شأنه أن ينزل مقام مصر الدولي الى منزلة أمة نصف
متمدنية ، فانه ليس من المحتمل أن تنتظر الأمم الأخرى ذات المصالح
في مصر نظرة التساهل الى هذا الاعتداء » . وألقت صحف أخرى تبعة
هذه الجناية على الشعب المصري الذي تأصلت في نفسه العقيدة الدينية
وهي تحرم قتل النفس وقتهى عنه ، والذي يعرف حق المعرفة أن وسائل
العنف والاجرام أكبر جناية على الوطن .

ماخلت بلاد من المتألمين ومن حوادث الاغتيال . وقد وقع
الاجرام على المصريين ذاتهم قبل أن يقع على سواهم ، وكنا نأمل أن
أولى جرائمه قد يأتى عليها القضاء العادل ، ولكنها مع الأسف
الشديد قد ولدت جرائم أخرى أشد خطرا وأعظم هولا جرت على
البلاد شورا كثيرة ، أضرت بسمعتها ، وأورثتها من المشكلات والضائر
ما يقتضى ائسنا العقول واجهاد القوى زمنا طويلا لتلافيه وجرء
عواقبه .

هذه الجرائم المفطرة التي تولدت عن الجرفومة الأولى كان سببها

افلات بعض الجناة من يد العدالة ، فكانوا حربا على البلاد هم ومن كانوا على شاكلتهم من المتهوسين ضعيفى النفوس أمثالهم ، فاختاروا طريقا لا يجدون فى مصر من يوافقهم عليها أو يجاريهم فيها •

انحدرت هذه النفوس الضعيفة فى مهاوى الجريمة والاثم بسبب تلبد الجو السياسى ، ورأوا أن وسائل العنف والاجرام بالخيانة والتجبن تخدم البلاد وتبليها أمنيتها ، وفاتهم أن العنف على مختلف صورته وأشكاله لا يمكن أن يجر على مصر وقضيتها الا الضرر والفساد ، ولم نسمع فى تاريخ أى أمة — حالها كحالنا — أن هذه الوسائل الاجرامية أنالها أمنيتها •

فاتهم أن أشد ماينتاب البلاد من الفوضى والاضطراب أن يصبح الأمر فيها بيد فئة من المفتونين اغتلسوا لأنفسهم الحق فى إقامة أنفسهم مقام الحكم والمنفذ ، فى أمور لا يكون الحكم فيها الا للأمة بأسرها •

فاتهم أن بلادا يصبح فيها الانسان رهين حكم المتهوسين لا تقوم ولن تقوم لها قائمة حتى يترك ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله •

فات هؤلاء الأغرار أن الاستقلال لا يكتفى لصوننا ورفع مقامنا ، بل يجب أن نعرف كيف نصون استقلالنا • فننشر التعليم واعلاء شأن الأخلاق والفضائل ، وتوثيق عرى الاتحاد بين أبناء الأمة ، نتمكن من صيانة استقلالنا ونفتبوا المكان اللائق بنا بين الأمم المتمدنية •

ويعد أن شرح النائب العمومى وقائع الدعوى ، وأتى على تاريخ حياة المتهمين ، وكيف توصل المحققون الى معرفتهم ، والأدلة التى قامت عليهم قال فى ختام مراحته :

قد شرحت لحضراتكم أدوار هذه القضية ، وفصلت وقائعها ، وقد

أجهدت نفسى فيها حرصا على العدل وعلى سمعة البلاد كما قدمت •
وقد وضعت العدالة يدها على من علثوا فى الأرض فسادا • عبثوا
بالقانون لمواظف شريعة غلت فى صدورهم فأصمتهم عن صوت العقل،
وأعمتهم عن نور الحق •

لقد اطمأن ضميرى واقتنع بأن من قدمتهم للقضاء العادل اينالوا
جزاء شروهم هم الجناة السفاكون ، وأرجو أن ما اقتضت به ، بحق،
سيقع ضمائركم فتمحون هذه الأخطار الخطرة ، وتردون عن البلاد
بؤسا وشقاء كان المتهمون مجلبة له •

نحن الآن ، يا حضرات المستشارين ، أمام خطر داهم ان لم نقف
فى سبيله سرنا الى الهاوية •

فعلى حضراتكم أولا ، ثم على كل مصرى خبر الحياة ، وعلى
الأخص قادة الأفكار فيها ، واجب خطير شريف ، ان الامة المصرية
تمقت بطبيعتها الاعتداء وقتل النفس التى حرم الله قتلها ، حانقة أشد
الحق على هذه الفئة الضالة التى اتخذت سفك الدماء صناعة ووسيلة،
ونرجو أن يكون من وراء حكمكم العادل عبرة وذكرى لأمثال هؤلاء
المتهمين حتى لايمود صفار الأحلام والطاقثشون الى اللعب بالنار •
وأكن هذا العلاج وحده لا يكتفى لاستئصال المرض من أساسه •

نعم ان قصاص القضاء العادل سيعيد الى البلاد حظا وافرا
من السكينة يمكنها من أن تسير فى طريق التقدم والارتقاء — ذلك الطريق
الطويل الكثير العثرات ، فاذا ماسرنا بحكمة وأصالة رأى قطعنا الطريق
فى وقت قصير قضى سوانا فى اجتياز وقطعه قرونا • والحكمة تقضى
بالقضاء على هذا المرض الذى وان كان محصورا الآن فى فئة من
الأغرار ضعيفى العقول الا أنه يخشى أن تسرى عدواه الى شئنا بنا

الناهض الذى تفخر به البلاد ، ولها فيه رجاء عظيم ، يفتش أن تسرى
إليه هذه العدوى فتلتوى هذه الحصون الرطبة على الشرب • وهنالك
الطامة الكبرى •

وها هى نصيحة جلالة الملك المصوب الساهر على مسعادة بلاده
والعامل على اعلاء شأنها مسطورة فى خطاب العرش يجب أن تكون
منقوشة فى صدر كل مصر لما فيها من العلاج الشافى •

الآن ، يا حضرات المستشارين ، قد قمت بواجبى فى هذه القضية
فأطلب منكم أن تستأصلوا اليوم هذه الجرثومة الفاسدة بأئسد ماق
القانون ، فليس فى ذلك من قسوة اذ نحن فى ظروف شديدة توجب
ذلك •

نفاخ

حضرة الأستاذ الهلباوى بك عن شفيق منصور

قبلنا هذه المأمورية القاسية ، مأمورية أن نكون لسلان حال هؤلاء
الانصاء ، ونحن نعتقد أننا أمام محكمة تصمم آذانها من كل ما هو
خارج عن موضوع الدعوى • تقدر ظروف الاتهام وظروف الحادث
والأدلة كما تقدرها فى القضايا الأخرى • هذا رجاء زاد تحققا عندما
أعلن مسعادة الرئيس فى جلسة أول أمس أن هذه المحكمة لا تنفى بشئ
من السياسة وإنما تقتصر نظرها على المسائل العادية كما تنظر الى بقية
القضايا • زدنا إيماننا بأنها تحقق العدل فتعاقب بقدر الجرم ، وتبرىء
من تمتد فيهم البراءة •

نعتقد هذا • ولكن ، يا حضرات المستشارين ، الظروف التى أثرت
فى هذه القضية ، والنتائج التامة التى لحقت بالبلاد ، من المستحيل

— ونحن نؤدى هذه المأمورية — ألا نثأثر بها • ولكن هذا التأثير يجب أن يقف عند حد ، هو ما يعنى القاضى عندما يقدر أسباب الجريمة ، وعندما يقدر النتائج التى ترتبت على الجريمة ، وعندما يقدر حالة المتهم وتربيته • تلك هى الأركان الأربعة التى نعتقد أنها ستكون بحسب القانون أساس بحثنا فنقف عندها •

سعادة النائب العام بدأ مرامته بأن وصف شفيق منصور بأنه زعيم العصاة التى ارتكبت هذه الجريمة • ونحن مع اعترافنا بحسن تقديره ، وبالنتائج الباهرة التى وفق إليها فى تحقيق هذه القضية نستسمحه فى أننا نخالفه فى هذا •

ثم أخذ حضرته يشرح موقف شفيق منصور من التهمة كشرىك فى الجناية ويتكلم عن التطبيق القانونى بالنسبة له • ثم قال :

عرضت على حضراتكم أنكم الآن تمالجون مرضى أصيبوا بجنون الوطنية • وأريد أن أتكلم عن شيوع هذه الجرائم ، وهو يدعو أحيانا الى التشدد فى العقوبة ، وهو يدعو أحيانا الى التلطف فيها •

فالجريمة التى وقعت والتى أخذ بعض الجرائد الانجليزية يحدد بها علينا ، والتى أنتجت الانذار البريطانى الذى يقول انا لا نستحق من أجلها أن نكون بين الأمم المتحضرة ، هذه الجريمة من وأردات أوروبا •

ان أوروبا التى تمن علينا فى كثير من الأحيان بأن مانحن فيه من حضارة هو من ناحيتها ، يجب أن تقبل أيضا ، الى حد ما ، أن الجرم السياسى هو من ناحيتها أيضا • فلم يكن الجرم السياسى موطنه هذه البلاد أبدا ، بل لقد أتى مرض القتل السياسى من الغرب مع مرض الزهرى تماما • يجب أن تقبل أوروبا هذا أيضا ، فهى ملوثة فى جميع أرجائها بمثل هذه الجرائم ، ويأفظم منها •

أكبر صيحة نرفعها في وجه مملكتنا أوروبا أن ٩٠ في المائة ممن
جروا في هذا السبيل هم الذين طوحت بهم المقادير وتعلموا في ربوعها .
تلك جنائية خلقية ، لا غربية ولا شرقية .

نريد استئصال هذه الجرائم . القاضى مهما كان لديه من الوسائل
لا يستطيع القضاء على الجرائم . أحسن علاج أن تعيش الأمم خاضعة
للنظام . اعدام غلامين أو خمسة أو ستة مثل هؤلاء السفهاء لم يعمل
فيينا على اصلاح الداء . انما يرجع الداء الى أن الأمم ينبغي أن
تعيش فيما بينها محترمة لقواعد النظام .

فمعظم العلماء يميلون الآن ، أيضا في أوروبا التي نتعلم عنها ،
الى نبذ عقوبة الاعدام . فاليكم ، ولو أنى أمام محكمة في أمة صغيرة
غير معروف للعرب أنها تعطى حكما وأمثلة العدل — ولكن ليس للعدل
وطن ولا للحكمة دار — اذا استطعت أن أقدم بين يديكم أن هذه
العقوبة علاج خطير تنفر منه النفس الا في الأوقات الضرة فأنى
استطيع أن أقول صونوا الهيئة الاجتماعية من خطر هؤلاء السفهاء .
انتقموا من قوة هؤلاء الشبان فقد ينفعون اذا تابوا ، وقد تصالح
المقادير من أمرهم . وخصوصا وأن عقوبة الجرائم السياسية مبنية
دائما على خطأ في التقدير . هؤلاء البغاة يذكرون أنهم ارتكبوا الجريمة
بحسن نية . هم كالمجنون الذى يتوهم خوفه من البرى فيقتله . فى
عرفهم هو قصد الخير . أنا لا أطلب منكم أن تحرقوا هذا ، وانما
وأنتم تزنون قدر العقوبة عليكم أن تزنوها بقدر فكر الجانى . أعفى
القانون القاصر من عقوبة الاعدام لأنه عرف أنه لايقدر تعلم التقدير
الظروف كلها .

هم مرضى . عرضوا على طبيب ينظر في أمرهم دون غل ولا حقد .
أنتم تعالجون مرضى الأرواح كما يعالج الطبيب مرضى الأجسام .

ومن أجل هذا أستطيع أن أقول ان هؤلاء المجرمين يستحقون
عذابكم .

هذه الدار تمثل رحمة الله في الأرض غاطلها منكم هؤلاء الأغرار .

هناك سبب أتضرع اليكم أيضا بأن يكون سبب رحمة . هذه
الجريمة كان يرمى خطرها الى ايداء العلاقة بين مصر وانجلترا فكان
مالا بد منه ، أن تتدخل السياسة الانجائزية . وقد تدخلت ، واحتملت
مصر طرا أن تكفر عن هذه الجريمة . دفعت تعريضا لا يقل عن نصف
مليون جنيه . هؤلاء الأغرار الأشرار حملونا كل هذا المصائب . لهم
الحق أن يقولوا لكم ان سعادة النائب العام قال (ولكم في القصاص
حياة يا أولى الأبواب) لكن حكمة الله يجب ألا تنسى .

اتفقت كلمة الأئمة على أن دفع الدية ينفي توقيع العقوبة . وقد
دفعت مصر الدية فأرجو أن تدخلوا ذلك في اعتباركم .

فأرجو أن يعرف الانجليز أننا أمة تعرف الجميل وتعرف الرحمة
فمنرجو ألا يؤاخذونا بما فعل السفهاء منا .

قليل لكم أمس ان هذه هي القضية الأولى من نوعها التي تعرض
على القضاء المصري ، وأنا أعتقد أن عودة القضاء فيها الى نظامه
العادي قد جعلتها بين أيدي قضاة ممن تتشرف بهم الأمم فيما يتعلق
بصيانة المصالح ، فأؤكد لكم أن الطمأنينة قد عادت في كثير من البلاد .

لا أقول ان الانجليز غير عادلين ففخر الأمة الانجليزية عدالتها .
لكن اذا اعتر المصري بعودة فضائله الى النظر في أموره كلها فانما هذا
ترضية لشعوره واحساسه بالحب الذي يلقي على عاتقه .

يا حضرات المستشارين : أهل المتهمين جميعا يتقدمون لكم طالبين
الرحمة مع احترامهم بما حدث .

دفاع

حضرة الأستاذ وهيب دوس عن شفيق منصور

يا حضرات المستشارين :

فرض القانون — فيما فرض ضمانا لحسن سياسة القضاء وإقامة العدل بين الناس — أن لا يتقدم متهم أمام هيكل قضائكم الجنائي دون أن يرافقه في هذه المرحلة الأليمة محام يتولى الدفاع عنه — محام يشارك معكم في شرف خدمة القانون ويرتفع عن أوساط المتهمين إلى الوسط الذى يفهم فيه معنى العدالة كما تفهمونه أنتم ، ويقدر أغراض الشارع التى وكل اليكم تحقيقها كما تتقدرونها ، فيعرض عليكم المتهم كما يجب أن يعرض — بريئا أو مذنبا — ويصور لكم العواطف التى اجتاحت نفسه وعصفت بوجدانه فأفقته أسى مايتطلب به الإنسان فى إنسانيته ، وأرقى ما يطمح فى السمو إليه من فضيلة الرفق والتضحية والتسامح التى لو سادت لما اجترم مجرم جرمه ، ولما قلمت الحاجة لنظام القفاء .

أوجب القانون هذا ، مع افتراض أن يكون بين هؤلاء المتهمين معترف أو متلبس بجريمته دون أن يحرم هذا الفريق من هذه المساعدة ، أو يقلل من أهميتها بالنسبة له ، فكان قضاؤكم باطلا إذا لم يسترشد بدفاع المحامين الذين أصبحوا ركنا أساسيا فى القضاء الجنائى تسعى لى تحقيق قيامه نفس السلطة التى تقيم الدعوى إذا قصر المتهم فى حق نفسه فلم يسع إليه أو حتى إذا رفضه هو رفضا باتا .

ألم يكن هذا الواجب عبئا ، يا حضرات المستشارين ، لأن المهمة التى شرعنا الشارع بتقليدنا إياها — مهمة الدفاع عن المتهمين أمامكم — لا تقوى النفوس البشرية أن تجمع بينها وبين مهمة القضاء . بنفس

القاضي وه يجلس للقضاء عرضة لتنازع العوامل المختلفة ، والأهواء المتباينة • بحكم مركزه يتبين مصاب المجنى عليه ، فيتصور حال من أصابهم الجاني بجنايته ليقدر مبلغ أثرها فيهم ليسترشد بذلك في حكمه • وعليه أيضا أن يتبين نفسية المتهم ، وما تفاعل في نفسه من الأغراض والشهوات ، ومبلغ أثرها في حسن تقديره لما أقدم عليه • على القاضي أن يحيط بهذا وذاك وهو بغير شك عرضة للخطأ في التقدير بين مختلف هذه الأهواء والشهوات • ومن هنا وجدت الحاجة إلى من يقيم الدعوى ومن يدافع فيها ، ليتفرغ القاضي إلى وزن ما يرضى عليه دون اجتهاد في البحث عما يجب أن يعرض •

لهذا كان شرف المحاماة عظيما بهذا المكان الأسمى الذي جلت فيه تحت هذا النظام ، ولهذا جئنا ندافع أمامكم عن هؤلاء المتهمين تقديرا منا لهذا الشرف رغم ما أرجف به الكثيرون من تشويه جمال هذا الموقف الذي نقفه كمحامين نرتدى هذا الرداء ونطلع فيه عن أنفسنا كل رداء آخر قد يعطل من جهودنا فيما لو أعرناه التفتاتنا وجاريئنا هؤلاء المرجفين في اعارته اعتبارنا •

يظن العامة ، يلحضرات المستشارين ، أن اعتراف المتهم باجترام الجرم يخفف عبء القضاء على القاضي ويهون له سبيل الحكم في الدعوى •

لقد ضل العامة في زعمهم • وأمامكم الفرصة سانحة لخدمة العدالة بالقضاء على هذه الضلالة •

إذا أنكر المتهم وأقيمت عليه البينة كان عمل القاضي حينها فهو لا يتنيد إلا بالعمل المادي ، وهذا قد أقيم عليه الدليل فلا ينبغي إلا توقيع العقاب فيوقعه القاضي وهو قرير العين ، طيب النفس للخدمة التي أداها للمجتمع •

أما المتهم المعترف بجريمته فيتقدم لقاضيه وسريته على كفيه
ببسطها أمامه مطلبا إياه بأن يحل نفسه محله ، ويتصورها محوطة
بظروفه ، وأن ينزل الى حركة في الفهم وفي مبلغ أثر الحادث فيه -
يطالبه بكل هذا لأن القضاء لا يقوم الا بتفهم هذا جميعه . ومن أجل
ذلك ترك لكم ذلك المدى الواسع بين أقصى العقوبة وأدناها . والمفروض
في جميع الأحوال أن الفعل المادى واحد ، ولا يجرى الفرق في الحكم
الا لاختلاف مايفهمه القاضى من جميع تلك العناصر المختلفة والأهواء
المتباينة .

لهذا كانت مأموريكم ، يا حضرات المستشارين ، في حال المتهم
المعترف أشق وأدق منها في أى ظرف آخر . حتى في حالة الجريمة التى
يعتذر المتهم عنها بإحدى شهوات النفس الأولية كالانتقام والغيرة
والسرقة للفاقة والغضب لعدم ضبط العواطف .

فاذا كان هذا هو حالكم في تبين تلك الشهوات الأولية فكم يكون
واجبكم أشق اذا كانت مقدمات الجريمة تستبك فيها العواطف وتأخذ
فيها الشهوات بعضها بأعناق بعض ، وتتناقض فيها الحالة النفسية
للمتهم الواحد تتلفضا لايتفق مع النتيجة على ظاهر الحال ، ولا يمكن
فهمه الا بالجهد والعنت .

لهذا كان اشفاقى عظيما على نفسى ، وعلى حضرات زملايى الذين
كلفوا بالدفاع في هذه الدعوى عن المعترفين من المتهمين ، وكان اشفاقى
أعظم على حضراتكم ، وفي أعناقكم مسئولية الحكم عليكم وحسبكم
تبعته ، وضمائركم بين ضلوعكم تستحقكم لثمس قبس النور في هذا
الظلام البالك فلا تكادون تتبعونه حتى يخطئ . وبدون هذا القبس
لاتملكون الحكم ولا تذوقون طعم الراحة اذا أنتم حكمتكم .

حضرات المستشارين : ستدخلون الى أنفسكم اذا ما فرغنا نحن

من القيام بواجبنا ، وستعرضون أمام خيالكم الجريمة بما أحاط بها من ظروف منجمة ، وما ترتب عليها من نتائج بعيدة المدى قد يكون من أثرها تعطيل تقدم البلد أحقابا أو أجيالا . ستعرضون أمام خيالكم المجنى عليه علثدا من بلاده بعد أن قضى فيها شهور راحته ، وتاركا وراءه أخوانا وخلانا على أمل لقاءهم قريبا — عاثدا ونفسه مملوءة بالأمان فى المستقبل وقلبه مغمم بالمشروعات التى ينوى أن يخدم بها وطنه .

وسياتى حتما فى هذه الصورة خيال زوج ذلك الشهيد وفخرها واعتزازها بهذا الذى يمثل لها الرجولة الحق ، وأملها فى أن يخلد لها من الذكر الطيب ما يشتره الناس بأرواحهم كاسين . ستمثلون هذا جميعه وغيره مما يعرض للمفكر عميق التفكير ، وتتصورون أن تلك الحياة النابضة وذلك الجسم القوى وتلك المواهب والآمال تتهدم فى لحظة واحدة ، فاذا بقائد الجيش لا يقوى على الكلام ، واذا بالوث يتسلل اليه برغم من أحاط به من أصحاء وأحباب ، واذا بالبرق تتجاوب أسلاكه بفجر الفاجعة ، واذا بالرجل المملوء حياة ونشاطا طالما ملا بها ميادين القتال رهين حفرة تضيق به ويضيق بها .

يا حضرات المستشارين : اذا ما تعاقبت هذه الصور المفزعة امامكم فثارت نفوسكم للحق ، وهمت بتوقيع العقاب على المجرم ، فنتذكروا انكم ورثتم أولياء الدم فى نظام القضاء الصديق ، ولكن الارث انتقل اليكم بعد أن تجرد من عاطفة الغضب والانتقام — انتقل اليكم القصاص العدل ، القصاص الذى فيه الحياة . فنتذكروا هذا ولا تنسوا أن للمسائلة وجها آخر يجب استعراض صوره كذلك استعراضا دقيقا قبل أن تقولوا كلمتكم الأخيرة ، وبها تتعلق أرواح هؤلاء الأغرار .

ثم اخذ حضرة المصامى يترافع فى موضوع الدعوى ويشرح

المحكمة المؤثرات التي دفعت هؤلاء المتهمين على ارتكاب جريمتهم الى
أن تقال في ختام مرافعتهم :

تذكروا يا حضرات المستشارين اذا ما وضعتم القلم على
القرطاس وقبل أن يجرى به قضاؤكم أن هؤلاء الشبان قضوا أعواما
انغمسوا فيها في الجريمة دون أن يكون لهم في ذلك مصلحة .

تذكروا أن لهم عائلات يلبسها حكمكم السواد ، وامهات وأخوات
تخفق قلوبهن حنوا وعطفا ، وتجزع نفوسهن هلما واشغلتا ، وان لهم
عليكم دينيا لا تملكون سداؤه اذا هم القضاء . خاطروا بأنفسهم
وتعرضوا للموت قتيلا أو حكما في سبيل مصر بحسب معتقدهم ،
والأعمال بالنيات ، وهذا دين يشغل ذمة كل مصري ، عليكم فيه
نسيكم ، فطعكم موفونه في حكمكم باقالتهم من عثرتهم ، وانكم باذن
الله لفاعلون .

مرافعة النيابة العمومية

في قضية الجنابة رقم ١٠٤ لسنة ١٩٣٦ الخاصة

بالاعتقالات السياسية

في دور شهر أبريل سنة ١٩٣٦

محكمة جنابات مصر

المشكلة برياسة المستر كرشو وعضوية حضرات كامل ابراهيم بك

وعلى عزب بك

مرافعة

حضرة صاحب العزة مصطفى حنفي بك

رئيس نيابة الاستئناف

في هذه القاعة ، ومن خمس عشرة سنة مضت ، وقف حضرة صاحب الدولة عبدالخالق ثروت باشا النائب العمومي لذلك العهد وأحد المجتهدين عليهم في قضية اليوم ليتراجع في أول اعتداء سياسي حدث في هذه البلاد يوم أن أطلق الورداني رصاصاته على صدر بطرس غالي باشا . فقال يصف الاجرام السياسي .

(وهنا ذكر حضرة رئيس النيابة العمومية بعض فقرات من مرافعة المرحوم عبد الخالق ثروت باشا في قضية مقتل المرحوم بطرس غالي باشا) .

بمثل هذه الكلمات البليغة ، والنصائح الغالية التي صدرت عن رجل خبر الدهر ، وعرك الأليم ، خاطب النائب العام قضاة وهي كلمات

ان هقت في أول اعتداء سياسى ففى الحق اليوم بعد أن قضت مصر
خمس عشرة سنة تثن من هذا الداء الوبيل ، وبعد أن تعدد ذلك النوع
من الاعتداء حتى أفاق الذين يهمهم أمر هذه البلاد •

ومع أن المحكمة أجابت نداء النائب العام فقضت بإعدام المتهم
الا أن هذا العلاج لم يستأصل الداء تماما • فان كان الوردانى قد
أعدم فقد بقى شفيق منصور ومن على شاكلته أحرارا طليقيين يقتفون
أثره ، ويمملون عمله ، وينشرون مبادئه الى أن انتهى بحادثة السردار
تلك الجائحة الاليمة التى فجعت لها الأمة والتي اصطدمت بآمال
مصر ، بل لست مبالغاً ان قات لكم ان تارك الرصاصات الطائشة التى
أطلقها المتهمون على السردار إنما هي رصاصات صويت الى صدر مصر •

وبعد أن أخذ رئيس النيابة العمومية في سرد وقائع الدعوى
ذكرنا تاريخ الاجرام السياسى في مصر قال :

حضرات المستشارين :

الآن انتهى واجب مهنتى ، وبقي واجب وطنى • وان كانت هذه
المهنة قد منمتنى في الماضى أن أحلى برأىي في هذه المسائل التى أقلق
البال أعواماً طويلاً ، فان هذه المهنة نفسها هى التى أوقفتنى اليوم
هذا الموقف فأنتهت لى فرصة قلما تسنت مرة أخرى ، فمن الواجب ألا
أتركها تمر دون أن أقول كلمة في سبيل بلادى ، وقد لا أكون في هذه
الكلمة الا معبراً عن رأىي الخاص دون أن أمثل أحدا •

لقد ظل الاجرام السياسى في مصر عهداً طويلاً بدأ بمقتل المرحوم
بطرس غالى باشا وانتهى بمقتل الأسوف عليه السردار وبين الفقيدين
ضحايا أخرى سقطوا في ميدان الشهوات السياسية •

لقد بدأ التحقيق دولة عبد الخالق شروث باشا وانتهى به مساعدة

طاهر نور باشا وبين الفلّابين المعممين نوابعموميون آخرون من ذوى
المقول الراجعة ، والأفكار الثاقبة . وقد وضعوا نصب أعينهم مصلحة
بلادهم فعملوا على إبرائها من هذا الداء الوبيل فبحثوا ودققوا وبخلوا
جهودا كبيرة فى هذا السبيل . فان كانت الجهود التى ظلت زمنا
طويلا لم تنتج الا اتهام عشرات من الأشخاص فمن العدل أن نقرر هنا
أن هؤلاء المتهمين أقلية ضئيلة بل أقلية تالفة لا تعبر الا عن رأيها
فعلهم وحدهم أن يحملوا مسئولية أعمالهم ، وعليهم وحدهم أن
يحملوا تبعاتها .

وإذا كانت هذه التحقيقات أيضا لم تثبت وجود أية صلة بين هذه
الفتنة القليلة ، وبين أية هيئة سياسية فمن الانصاف أن نقرر هنا أن
مجموع الأمة برىء من هذا الاجرام .

حضرات المستشارين : قد يكون من حسن حظنا جميعا أن يعرض
الأمر برمته على هذه المحكمة وهى أكبر هيئة قضائية مفتصة فى هذه
البلاد لتقول كلمتها . وقد تكون الكلمة التى تصدر منها هى أقرب
الكلمات الى صدور الأمم المتحدية .

لقد رأيتم بأعينكم وسمعتم بأذانكم كيف كانت الأمة تتفجع عند
وقوع كل حادث ، وكيف كان ينبى الزعماء الى تقبيح هذه الأعمال ،
وبيان ما يلحق البلاد من جرائها ، فصم المتهمون آذانهم عن سماع
أنين مصر ونصائح الزعماء . فكلمة منكم يا حضرات المستشارين قد
تخفف آلاما تحملتها الأمة بصبر ، وتقضى على أراجيف أذيعت عن هذه
البلاد بغير حق .

ستحكمون بادانة المتهمين أو ببرأيتهم حسبما تستريح اليه
ضمائركم الطاهرة ، ولكنكم ستقضون حتما أن مصر بريئة من الاجرام
والجرمين وستظل سائرة فى طريقها المشروع نحو غايتها المنشودة
رافعة راية السلم حتى تثبوا بين الأمم مركزا يليق بتاريخها الخالد
المجيد .

دفاع

حضرة الأستاذ مكرم ضبيد

لقد أثارت هذه القضية بين الناس على تبالين نزعاتهم وأهوائهم شديد اهتمامهم وكرام عواطفهم ، وهذا طبيعي لأن القضية سياسية . والسياسة كانت ولا تزال مسرحا لكل عاطفة ، وسوقا لكل شهوة ، وميزانا لكل ضعف وكل قوة . ولقد نتج عن هذا الخلط بين السياسة والقانون أن اختلطت في القضية أسباب الحق بالباطل ، والعدل بالظلم ، والصديق بالكاذب حتى أصبحت مجمعا لكل تناقض ومضريا لكل مثل .

غير أن القضية قد أثارت أيضا هواجس الناس ومخاوفهم ، وهذا غير طبيعي ، لأن القضايا يقصد منها أولا وقبل كل شيء الوصول الى العدل ، والعدل تطمح له النفوس ولا تجزع .

ولكن الناس خافوا - وحق لهم أن يخافوا - لأنهم خسوا أن هذه القضية ذات الأهمية الاستثنائية قد يخلل لها التوازن القانوني قبل أن تصل الى حرمة القضاة ، فتجر الى إجراءات استثنائية في الاتهام والتحقيق ، ومن طبيعة الاستثناء أنه لا يعرف حدا ، لأنه لا يعرف قاعدة ، بل هو ضد كل قاعدة ، ولا يعبأ بعدل أو مساواة لأنه لا مساواة مع استثناء ، ولا يخضع لضمان لأنه لا يرى ضمانا الا في هدم الضمانات ، ثم ان الاستثناء هو الفكك من كل قيد . ومن سوء حظ البشرية أن هناك نفوسا اذا لم تكبح تجمع ، واذا لم ترعو لا تستحي ، وهناك نفوس تجزع ، ونفوس تطمع . وهكذا فالاستثناء، مهما تلطفنا في تسميته ، هو الظلم بعينه لأنه يفتح الباب لكل شهوة

ثم أخذ حضرة المحامي يتحدث عن تصرفات البوليس في هذه القضية وعن وجود جمعية سياسية للقتل السياسى ثم انتهى من مراجعته بالكلمة الآتية :

يا حضرات المستشارين : لقد انتهى واجبى كحلم • ولا ريب أن واجب المينة يتطلب كثيرا من الصنعة ، وأنه فيما بين الأوراق والدوسيات وشهادة الشهود والاثهام والدفاع يفلق جو غلام هو جو المحاكم ، وكثيرا ما تضع على المتهم شخصيته في وسط هذا الزحام العلمى ... فيصبح المتهم ويمسى فإذا به قد تحول إلى نظرية قانونية أو دليل يتراشقه الخصمان ، النيلة والمهاماة ، فهو في نظر النيابة مدمج في الاتهام وفى نظر المحاماة هو عبارة عن الدفاع ... أما شخصيته ، أما حريته ، أما عواطفه فهي في نظر الاتهام مسألة ثانوية **والا أن القضية (مخدومة) •**

وانى أؤكد لحضراتكم أنه ليس أتمنى على المتهم من هذا التجرد من شخصه ، هذا التكر عن أهله وجنسه ، فإذا دخل غالى سجن ، وإذا خرج غالى قفص •

يجب ألا ننسى أن المتهم الذى هو في السجن نكرة هو في بيته حياة ومحبة • يجب أن لا ننسى أن المتهم الذى هو في نظر النيابة اتهام هو في الوقت نفسه أب وزوج وولد وأخ وصديق •

فلا تعجبوا إذن ، يا حضرات المستشارين ، إذا كلمتكم من هؤلاء المتهمين كأشخاص وبشر ، فأنتم والله الحمد لستم قضية أوراق ، كما وصف حضرة قاضى الاحالة نفسه • أنتم — وانى لأرتجف من هول ما أنتمم — أنتمم قضية نفوس بشرية أودع الله مصرها في كلمة تخرج من أفواهكم ، فأنتم لسان الله وصوت القدر • فاقضوا إذن بيننا وبين شقيق منصور ، ذلك المجرم الذى قضى الله عليه مرات عديدة قبل أن يقضى عليه بشر ، اقضوا بين غسفننا وقوة من إذا قال قدر ، فأنتم أقوى وأنتم أقدر •

(ملحوظة — قضى في هذه القضية باعدام محمد فهمى على وبرائة باتى المتهمين) •

مرافعة

حضرة صاحب العزة مصطفى حنفي بك

رئيس النيابة

في قضية الجناية رقم ٣٦٦ بندر الجيزة سنة ١٩٢٧ الخاصة
بالاعتداء على المسيو سلامون شكوريل ، وقتله المتهم داريو جاكويل
وآخرين أجانب .

حضرات المستشارين :

اسمحوا لي أن أؤدي واجبي ، فأعيد الى ذكراكم حادثا اليما ،
ذلك الجرم الشنيع الذي ارتجت له أركان البلاد وتفزعته منه نفوس
الناس : قتل تاجر من أكبر التجار وأطيبهم نفسا وهو وادع في
بيته ، آمن في سره ، وتأييم سيده كريمة لم تسقوف بعد سن الشباب ،
وقتيتم أطفال صغار مازالوا بحاجة كبيرة الى جناح الأب الرؤوف .
أقصده بهذا مقتل المأسوف عليه المسيو سلامون شيكوريل بشوارع
الجيزة . ذلك الرجل الذي لم أكن أعرفه من قبل ولكي عرفته من خلال
التصديق : رب عائلة على أحسن ما يكون ، وزوج من أبر الأزواج ،
ووالد من أطيب الآباء ورئيس شفيق بمرؤوسيه . فقد تبينت كل هذه
الصفات في تلك الميرون البلكية ، وتلك الوجوه العابسة التي كانت تتم
عما في نفوسهم من حزن وأسى . حتى لقد كان كل منهم يرى المصائب
مصابه والفقيده فقيده فابوا أن يذهب هذا الرجل الى داره الأخيرة
الا محمولا على أعناقهم .

حضرات المستشارين :

انتم من شيوخ القضاة ، خبرتم الدنيا فننقم جلوها ومرها . وفي

هذه الساحة المقدسة ساحة القضاء العادل سمعتم شكوى المظلومين وسمعتم اثنين المحزونين ، ورايتم كيف تفقد الزوجة زوجها والأم ابنا والابن أباه في ظروف وحشية قاسية ، وأرسلتم كثيرين الى منمسة الاعدام بحكم القانون وانتم هانئون مطمئنون . ولكن قلنا أن تكونوا في خبرتكم الماضية رايتم شيئا عظيما كالذى أعرضه عليكم اليوم ، رجل آمن في بيته بين زوجه وأهله ، يؤخذ قهرا ليذبح كما تذبح الأغنام ، على مرأى من زوجه التي كادت تموت أسى وفزعا . اثنا عشرة طعنة في صدر القتل وظهره ، فارق بعدها الحياة وهو يتوسل اليهم بكلمات تذيب الحجر الصلب « خذوا كل شيء واتركوا لى الحياة » .

والذى يزيد الأمر فظاعة أن اثنين من المتهمين أكلا خبز القتل وملحه ببل لا يزال مافي بطن أحدهما من نعمة هذا السيد . فما أستطيع هذه التوسلات أن تدخل الرأفة على تلك القلوب القاسية .

قبل أن أتي على تفاصيل هذا الحادث أريد أن أحلى بكلمة شكر لحضرات المحققين الأجانب وأذكر منهم القاضى الإيطالى جناب الكافاليرى امبالومينى والقنصل الشيخ باباداكيس وقاضى القنصلية اليونانية على المساعدة القيمة التي أسدوها لنا في تحقيق هذه القضية والتي كانت من الأسباب التي أدت الى النجاح ٣

ولقد ظهر بأجلى وضوح أن التضامن بين رجال التحقيق خير الوسائل للوصول الى الحقائق . وقد تكون هذه القضية من المرات الغليلة التي تلاقى فيها القضاء الأجنبى بالقضاء الأهلى ، وعندى أن مثل هذا التلاقى سيكون له أثر بعيد المدى للوصول الى النفاية التي ننتشدها ، وسيمدو بنا بخطوات سريعة نحو ذلك اليوم الذى يصبح فيه هذه التحقيقات بين أيدي مصرية هي أشد ما يكون حرصا على إقامة العدل . لقد قام البوليس المصرى بواجبه فأضاف ضحية جديدة الى صفحه المجيدة ، وقام المحققون من الأجانب والوطنيين بواجبهم

وسيقوم للقضاء الأهلئ بواجبه • وانا لانتظرون بنفوس هاجئة
وعلوب مطمئنة أن يقوم القضاء الايطالى واليونانى بواجبهما أيضا بما
عرف عن هاتين الامتين من حبه العدل والانصاف •

ثم أخذ حضرة رئيس النيابة فى سرد وقائع الدعوى والتطبيق
القانونى وأتم مراجعته بالعبارة الآتية :

يحق لى الآن ، يا حضرات المستشارين ، بعد أن تقدمت اليكم
بهذه البيانات الكافية ، وتلك الأدلة القاطعة أن أطلب الى حضراتكم
أن تقضوا عدلا باعدام المتهم فالقتل أنفى للقتل •

نعم أن عقوبة الاعدام لن تصيد الى الضحايا ارواحهم ، ولا الى
الايلى أزواجهم ، ولا الى اليتامى آباءهم ، ولكنها مع ذلك اقمى
متصل اليه العدالة البشرية • اما عدالة الله فستكون شديدة ، جزاء
وفلما لما جنب لبيهم •

ولست فى حاجة لأن أعيد على مسامعكم تلك الحكم التى دعت
المجتمع الاتمائى فى كل العصور أن يلجا الى هذا العقاب الصارم فهو
ليس انتقاما بل عبرة ، وفيه مع ذلك جزاء للقلوب الحزينة ، وتهئة
للخواطر المضطربة ، وتطمين للنفوس المتزعجة •

ولن تميموا ، يا حضرات المستشارين ، أى وزن لرأى الذين
يقولون أن بعض المتهمين لا يقضى عليه بهذه العقوبة ، وأن من العدل
أن يسوى بينهم جميعا • نعم أن القانون الايطالى ألغى عقوبة الاعدام
واستبدل بها عقوبة أخرى ، ولكن رب حياة شر من الموت ، ورب موت
شر من الحياة •

لقد قضى القانون الايطالى على هذه العقوبة منذ نحو أربعين
عاما ، ولكن المقوم من ذلك الحين يشعرون بحاجتهم الى هذا الجزاء

الرادع ، بل لقد أعيد فعلا في جرائم خاضة • وعندى أنه لن يفضى
زمن طويل حتى تعود هذه العقوبة الى ماكانت عليه •

ولقد استجذلت بمقوية الاعدام في ايطاليا عقوبة الأشغال الشاقة
المؤبدة التي تعرف عندهم بالأرجسولا • وشتان بين هذه العقوبة وبين
عقوبة الأشغال الشاقة المعروفة عندنا •

وقد قال المستر بوستن بروس في مقال منشور في مجلة
" Law Quarterly Review " وصفا لهذه العقوبة ما يأتى :

« فما الأرجسولا الا اعادة لذكرى تلك الأحوال التي قاسماها
عبيد الرومان في تلك السجون المظلمة » وهى السجون التي وصفتها
بحق اللادى هاملتون كنج بقولها :

« ان هو الا اسم من الشر ، وشئ من الشر ، وجهنم على الأرض
لا تمر بخاطر من كان فيه وساوس الأمل » •

ومع أن هذه السجون قد أدخل عليها من التحسينات ما استذعاه
تقدم المدنية والاعتناء بالوسائل الصحية ففى لا تزال مقر الأشقياء
ومقبرة الأحياء •

قضت المادة ٣١٦ من القانون الايطالى بأن يحكم على من يقترب
جريمة القتل المقتربة بجريمة أخرى بالأرجسولا •

والأرجسولا هى ، كما تقول المادة ١٢ من القانون المذكور ، عقوبة

مؤيدة تنفذ في محل خاص يوضع فيه المحكوم عليه بالسجن الانفرادى لمدة السبع سنين الأولى باستمرار مع ملزوميته بالشغل ، وباقى المدة يصرح له فيها بالاستغفال مع غيره من المحكوم عليهم مع التزامه الصمت .

وبحسب المادة ٦٧ من هذا القانون يزداد على مدة الحبس الانفرادى المستمر مدة من سنة الى خمس سنوات اذا اقترفت الجانى عدة جرائم معاقب عليها بمقويات معقيدة للحرية وكانت احدى هذه المقويات هي الأرجستولا .

وقال السيو ادموند توريل المحامى نابيلاليا في مقدمة عن قانون المقويات الايطالى :

« ان الأرجستولا هي أكبر عقوبة في القانون ، وهي مؤيدة يترتب عليها حتماً نظام الحبس الانفرادى في أقصى أشكاله » .

وقد يفزع الذين يحكم عليهم بهذه العقوبة ، ويستولى عليهم اليأس حتى يسيطروا عيئاً عن الموت ، بل ثبت أن كثيرين لا يهتملون هذا العذاب المستمر فيموتون مبكرين ، وكثيراً ما يفقدون عقولهم .

ويبؤى لو كان لديكم من الوقت ما يسمح أن أتلو على حضراتكم ما قاله النواب الايطاليون عندما طلبوا إعادة عقوبة الاعدام لبعض الجرائم الى القانون الايطالى فقد نعتوه أنه أشد هولاً من حكم الاعدام الذى استبدل به .

والحق أصابكم ، يا حضرات المستشارين ، لو أن هذه العقوبة كانت في قانوننا المصرى لرضيتها لتهمة قانعياً بأن المجرم قد نال ما يستحق من عقاب .

ومع ذلك مالى أنا ولهذا البحث الذى استهوانى فأبعدنى عن

موضوع مرافعتي • فنحن في مصر ، والقاتل والمقتول مصريان ،
فانظروا حضراتكم الى قضيتنا بعين مصرية ، والشرائع الوضعية كما
تعملون تتغير بتغير الزمان ، وتختلف باختلاف المكان ، فما يصلح لصر
قد لا يصلح لغيرها ، والعكس بالعكس •

ان ظروف هذه القضية قاسية تدهوكم الى استعمال القسوة ، فلا
تجعلوا الرأفة منفذا الى قلوبكم • وان لنا من عمل المتهمين أنفسهم
مثلا ، فقد أبوا أن يرحموا القاتل فلا حق لهم في الرحمة ، وأبوا
أن يرافوا بنوحيه فليس لهم أن يطلبوا الرأفة •

قد توسل اليهم أن يتركوا الحياة ويأخذوا ماغداها فأبوا إلا أن
يكونوا قنطة مجرمين ، وسقوه كأس الموت مرا ، فعلى المتهم أن يجزع
بالكأس التي سقاها فريسته • قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا
كتب إليكم القتلى » •

فان كان سلامون شيكوريل قد مات بفعل الغدر والخيانة ، فليمت
داريو جاكويل باسم القانون وكلمة الله ، والجزاء من جنس العمل •

لم يكن داريو جاكويل فقيرا ولا معدما دفعته الحاجة الى السرقة
والقتل ، بل هو شاب نشأ في بصوحة من العيش ، ولو شاء لعاش
شريفا ومات شريفا ، ولكنها نفس شريرة تصبو الى الجريمة بغير
حاجة ولا سبب • ومع أنه لا يزال في ريعان الشباب وزهرة المبدأ فقد
سار في طريق الاجرام شوها بعيدا ، بل بلغ في قصر من الزمن أقصا
مداه فدل بهذا على أنه عضو فاسد يجب أن يبتز وجثومة خبيثة يجب
أن تستأصل •

لست أخاطبكم بلسان النائب فحسب ، بل أخاطبكم بلسان زوجة
ترملت وهي في زهرة شبابها ، وأبناء تيتما وهم في حاجة الى تباهد

أبيهم ، مخاطبكم باسم هذه المدينة التي ماتجرت من قبل هذا النوع من الاجرام .

وأنشدكم أن تلاحظوا مانحن فيه من ظروف ، فقبل هذه الجناية حدث حادث آخر ذهب بحياة رجل وولده من يد مجرم أثيم حقت فيه كلمة القضاء .

لقاتللكم كزوج واب أشعر بمرارة الجرم وفظاعته ، وأرجو ، يا حضرات القضاة ، ان أنتم خلوتكم الى خلوتكم المقدسة لتتطقوا بكلمة العدل ان تذكروا انتم ايضا انكم آباء وازواج وأن تذكروا قوله تعالى وهو أصدق القائلين : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب » .

من مراجعة

حضرة الأستاذ صادق المجيزى وكيل النيابة

في قضية الجنائية رقم ٢٧ وإيلى سنة ١٩٢٧

المتهم فيها أمين حمام حماد أفندى عضو مجلس النواب

وأخر بقتل المصطفى (شرف)

هذه هى عقوبة حضرة النائب . وشخص بمثل هذه العقوبة وتلك الأخلاق لا يمكن أن يكون الحكم عليه حكما على الأمة . وليس هذا بالدفاع الذى يقال فى صدد تهمة فردية لا علاقة للسياسة والأحزاب بها . وما كانت النيابة يوما ما بمناعة القصاص . ففى أول الحرب حوكم كابو الشيخ والوزير الفرنسى ، وفى آخرها حكم على بوتوملى من أظهر نولب لنجلترا وأحد كتبها ، وفى مايو سنة ١٩٢٦ حكم على

النائب الإنجليزي سكلافالا • وفي كل يوم يسقط ثواب وشيوخ ووزراء تحت سيف الجلاد ، ومع ذلك لا تتأثر الشعوب ولا البرلمانات ولا الأحزاب التي ينتهون إليها • فاقضوا قضاكم العادل ولنقم مطعون الى أن الحكم بإدانة النائب لن يصيب سمعة مصر بسوء • انطقوا بحكمكم الفصل وأنتم على ثقة من أن الأموال البرلان سيزفون رؤوسهم مفاخرين بعدل قضائهم • طهروا البرلان ممن لا يستحقون شرف النيابة عن الأمة ، وأفهموا المنتخبين أن يحسنوا اختيار ممثليهم ، وأفهموا أمين همام أن النائب وان كان يملك التشريع فانه لا يملك القضاة ولا التنفيذ • أفهموه أنه قد جاوز اختصاصه عندما نصب نفسه قاضياً على (شرف) وقضى عليه بالموت وأقام خادمه جلاداً له • كونوا قساة في حكمكم بقدر ما في هذه الجريمة من الفظاعة والخروج على القانون (١) •

مراجعة

حضرات الأستاذ عبد اللطيف محمود رئيس النيابة

في قضية الجنمة رقم ١٤ دائرة عابدين سنة ١٩٣١ الخالصه
بنشر مقال « حفلات الطرب ألّم يكن الفقراء أولى بها ؟ »
بجريدة السياسة

يا حضرات المستشارين :

لا نقرر نظرية جديدة اذا قلنا ان الصلحفة هي مدرسة الأخلاق ، وهي مهذبة النفس ، القائمة على الشعوب لتعليمها وترقية مداركها بما يجب أن تقدم لها كل يوم من بحوث شاملة لجميع فواحي الحياة ، في أكرم لفظ وأقوم تعبير •

(١) ملحوظة قضى في هذه الدعوى بسجن أمين همام ثلاث

سنوات الخ •

فالرجل الذي ينال شرف الانتساب إليها ، والاستغفال بها يجب أن يكون له من نتائج قلمه ، خير مثل يقحمه أن يقرؤه ، وإن يكون له من خلقه أحسن قدوة أن يطالعها •

ولقد كان بالود أن يكون حال الصحافة في مصر كحال الصحافة في البلاد الأخرى • لا تعرف في لغتها إلا الترفع في القول والأدب في التعبير والاحترام لحرية الأفراد والجماعات ، والتباعد عن المطاعن ، واللين بكرامتها عن الاختلاق ، وبهذا يمكنها أن تصل إلى غرضها الذي وجدت له ، فتؤدي مهمتها السامية بدون عيب أو خروج •

غير أنه مما يؤلم أن تجتاز مصر زمنا طاشت فيه الآلام ، فخرجت عن اعتدالها ، وجاوزت مهمتها ، فنبت عن رشادها ، وهذا راجع إلى تطرق عناصر ، أنزلت من قدرها ، وحطت من شرفها •

ولقد زادت المبادئ التي قررتها بعض الأحكام ، للملابسات خاصة على ما اعتد ، استرسالا في غيرها ، واستهترا بما تقضي به مهمتها ، وتجاوزا لكل حد في تعبيراتها ، فأصبح الأمر فوضى ، حتى لقد ظن أن الشذوذ هو القاعدة ، وأن الطعن مهما يكن جارحا فهو جائز ، وأنه يصح للكاتبة أن ينال من شرف الناس ، ومن سمعتهم ، تحت ستار أنه نقد مباح •

على أن هذه الأحكام على ندرتها قد وضعت شرائط للنقد لم يرد بمقتضى الكتاب أن يفهمها على حقيقتها توصلا إلى إسائة الاستشهاد بها •

ولئن كان من أهم أسباب نزول الصحافة عن مستواها الذي يجب أن تكون فيه دخول هذه العناصر التي لا تقدر الأدب قدره ، أو تعرف للصحافة حقيقة مهمتها ، فلطالما علنا النفس بأمل أن يقوم المثقفون من رجالها ، بتقويم اعوجاجها ، وإصلاح ما فسد من شأنها ، والنهوض بها من كبوتها •

ولكنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، إذ شرب الينهم عندوى
الأولين فإذا هم والأولون سواء .

وقضية اليوم ، تتلاق بكتاب معروف ، له من تربيته ، وثقافته ،
ما يمنعه من استباحة قلمه ، يرسله من غير حق في مواقف ماكان أغناه
عنها ، ويشعره ظلما في صدور أشخاص لا ذنب لهم ، الا أنهم يقومون
بواجبهم . ذلك الكاتب هو الدكتور هيكلك بك الصحفي ، القانونى،
الأديب .

ثم أخذ رئيس النيابة العمومية في شرح وقائع الدعوى والتطبيق
القانونى ثم أتم مراجعته بالمجاعة الآتية :

ياحضرات المستشارين :

إذا ما خلوتم لتقولوا كلمتكم ، فاشبهوا الى أن حرية الصحافة ،
أو بمباراة أخرى أن حرية النقد ، ليست هى حرية أخذ الناس في شرهم
وقى كرامتهم ، بل يجب أن تكون في حدود القانون ، مشيئة بزوح
العدالة ، لا لغرض الاتهام .

ان جرائم الصحافة أثرها بالغ ، وغورها بعميد ، أثرها ليس
قاصرا على المتهم ومن جنى عليه وانما يتجدى الى الكثيرين .

ولن يستوى في نظركم من يعرف القانون بتفصيله ، ومن له من
علمه وتربيته ما يرشده الى حقائق الأشياء - ان يستوى بهذا مع
من هو جاهل بها .

فإذا ما أخذتم الصحفي على قدر عمله ، ووضوح غرضه ، فأنكم
تقومون بالإصلاح الذى نرتجيه، فلا يولد بعد ذلك ضحايا ولا يوجد
متهمون .

لن المظلمتين من الناس ، والقائمين بينهم ، يفزعون الى عدلكم ،
وهم يرجون بحدما أن تأخذ الصحافة مكانها الصحيح ، مكان المهذب
والمرشد الأمين ، عف اللسان ، لا سلاها للتشهير والاعنات .

عنهذ تصبج الصحافة فى مصر للخير ، وللخير وحده (١) .

مرافعة

حضرة الأستاذ عمر عارف

وكيل النيابة فى قضية الجنالية

رقم ١٥٧٠ طهطا سنة ١٩٢٢

يلحضرات المستشارين : — — —

فى اليوم السادس من شهر مايو سنة ١٩٢٢ روعت مصر — ريفها
والمنعبد — بزلزال كاد يطغى على قرية آمنة ، وينكب الناس فى قوم
أسلموا أنفسهم لراحة النوم فى قطر تمر سراعا لتبلغ بأصحابها مدنا
قاصية من الصيد الأعلى . ولولا ما عرف عن مصلحة سكة الحديد من
يقظة الحفظة الحارسين ونظامها الحقيق المكين ما نقلوا الى هذه المدن
قدما ، ولا تتركوا الدفعة فى عقر دورهم على التعرض للعفاطر فى رحلة
تحف بها الجرائم ويطيف بها الآثمون .

زلزمت الأرض فى ططا وزوالها . ومصر جنة الله فى أرضه . براها
نقمة ظهرة على خير ما يشقى الظالمون فى جنة الخلد ، ليس فيها من
زمرير الشمال ولا زلزال جزر الاقيانوس ولا فيما يلى بحر الروم من
جبال النار .

ملحوظة : قضى فى هذه الدعوى بتغريم محمد حسين هيكلة بـ
عشرة جنيهات .

نعم روعت مصر بهذا الزلزال ، وما كان للطبيعة يد فيه ولكنها يد
الإنسان • ويا ويل العالم أجمع من شر الإنسان اذا ركب الشيطان.
كتفيه ، وناصب الأمنين العدا •

هذا اليوم نعد من التاريخ الجنائى فى مصر • نذكره فنذكر فيه
هذه المأساة المروعة ، ونتبين فيه دما طاهرا لشهيد كان نكرة يدق أمره .
على الناس ، فلا يؤبه له فى طفولة ولا شباب ، فلما مات مجاهدا فى سبيل
القيام بالواجب والدفاع عما يؤمن عليه ، كان — بالقياس الى الأئمة —
الشمس وضوحا ، والندى صفاء والطفولة براءة وطهارة ••• هذا الشهيد
هو الحارس أبو زيد محمود •

يا حضرات القضاة :

انى أجلكم الاجلال الذى يرفعكم من العتب برنين الفاظ فى مطابقة
فى معانيها لآقتضى الحال • وما كنت لأضيع لكم وقتا فى العتب بالألفاظ
أسوقها فى حفل يشهده منكم قضاة هم فى الذروة من مجد القضاء انتهت
اليهم مقاليد الأمور فى الأموال والأرواح ، ليس لهم الا قول الحق
وعندهم فصل الخطاب •

فاذا بكيت بين أيديكم شهيدا وقتلت لكم خذوا له بحقه ، وجملته
من نقاء الصحيفة فيما وصفته به ، وأكبرته بعد أن كان نكرة ، فانما
لأن عبر هذه القضية عدت ما ألفناه كل يوم فى غيرها من القضايا •

رأيتم ورأينا فى حياتنا القضائية عدوان القتل على البناص فكانا
نشهد قتلا راح يسرق فأخرج فقتل ، أو جانيا أخذ منه الحسد أو طوحت
به الغيرة أو حفزه النار الدفين فقال من صاحبه واشتفى •

ولكن الأمر فى هذه القضية خرج عن مألوف هذه البواعث • انما
نحن من هذه القضية فى بدعة • هى ضلالة جيل من الناس ظنوا أنهم فى

الحياة أحرار من قيود النظام ، فخرجوا عليه وحسبوا أنفسهم أنهم
بالنعم في المتعة. بلذاذات العيش الحظ الأوفى على ألا يقاسموا الناس
تكاليف العيش من كد وجهد وكفاح .

لهذا رأيت وجوباً على أن أنظر الى القضية نظرة تحليل ودراسة ،
وأخذت نفسي بأن أعرض لها في تقص يرتب لنا . مقدمات نخرج منها
بتقدير ما . أحيط بالمتهمين من دوافع في جو حياتنا القومية لنرى أكان
المتهمان على حق فيما ذهبوا اليه . . . وإذا لم يكونا على حق ولم يأسرها
سحر العقيدة مما يتشمه المثل العليا ، وتستعبد به بعض النفوس ،
وتستهوي من عشاقها القلوب فما هما ؟ وما شأنهما في الحياة ؟ وما
الغرض الذي يرميان اليه ؟ أفیه خير شابه شر ؟ أفیه عمل صالح خالطه
عمل غير صالح ؟

وفيما نحن بسبيله نسأل : أفى مصر من يرى رأى هذين المتهمين في
حياة الضمول والرضا بالحدون من العيش والجرأة على الله في الذنوب
والآثام ؟

نحن من نهضت القومية في عصر انشائي لما نحن ثمراتها ونتقياً
ظلالها ، بل نحن نغرس لنجنى أو يجنئ أبناءنا من بعدنا ، ونؤسس
لبنين . لهذا نحرص الحرص كله على أن نحوط آمالنا وأعمالنا بسياج
من الجد والحزم يمنعنا من الأبلحية في السياسة والأخلاق . هذا السياج
هو النظام الذي يمليه علينا العقل السليم الناضج والرغبة الصادقة
في خير الأمة . .

نعم ونحن نبني ونؤسس ونغرس ، نريد لمر القوة فيما له بالصحة
والأخلاق من صلة . نريد لمر أطفالاً سلمت آبائهم من الآفات فانبتوهم
نباتاً طيباً أزهار يانعة . نريد شباباً لهم الصبر على المكاره والثبات على
العمل . والطفوح الى المجد . نريد كهولاً غركتهم التجارب فلا تبطرهم

النعمة في النجاح أو تهد منهم أعاصير المغالبة والمكافحة • نعم نريد القوة فلا ضعف ولا تواكل ولا جبن ولا استخذاء •

ثم أخذ جفزة وكيل النيابة في سرد وقائع الدعوى والتطبيق القانوني ثم ختم مرافعته بما يأتي :

يا حضرات القضاة :

انا أظننا ونعتذر اليكم فيما فصلناه من أمر هذه المأساة وأفضنا فيه من بيان ، فما هي قضية رجلين قتلا رجلا وشرا في قتل رجل وكفى ، وما هي قضية تدمير واتلاف وحسب • ولكننا قضية لجنة خرجوا على نظام الدولة وأرادوا أن يقتلوا من الأمة هيئة الحكومة كائنة ما كانت . وبئس ما يفعلون •

انما نحن في موقفنا هذا لا ندافع عن الناس أفرادا وجماعات الا بقدر ما يمس هؤلاء من الأذى وما كنا لندافع عن المساء اليهم لسلطان كان لهم ، فلما انحاز عنهم سلطان هذا الجاه فترت منا الهمم وصغر من أمرهم ما كان عظيما عندنا • لا ! ولكننا ندافع عن مبادئ سامية لا تتغير بتغير رجال الحكم ولهذا نرفع الصوت عاليا لنقول أيها القضاة : « ان هيئة الحكومة لولا عدلكم الحازم في خطر فصوصوا هيئة الحكومة » •

إذا كنتم عرفتكم بالرافة والرحمة فما هي الأمة تنادىكم بأن ارحموني انا ، وأراقوا بي ، فان الأشرار سلطوا تقمتمهم في مرافق حياتي وهيئة حكومتى فأى الناس يأمن الطريق والموت يكمن فيه بأروع ما يكون ؟ أى تاجر يتخطى هذا الجانب من مصر ؟ أى سائح الى مصر يسمى ؟ أى غريب يظن في مصر نظاما تصونه هيئة الدولة وأمثال هؤلاء الجناة ، بعد الاقتناع بظلوهم بالجريمة ، يعيشون ؟ أية حياة لهم ترجى وهم يسعون لاهداد دمهم بأيديهم وبأفعالهم الآثمة ؟

انظروا الى عمر بن الخطاب وقد رأى بواحد الفتنة من انحياز على الى داره يوم بيعة أبى بكر اذ ذهب عمر يشتمل جبارة نافذة ونادى صاحبه من وراء حجاب أن تعال بايع ولا تسع الى الفرقة والا حرقت دارك عليك ، فقال على وان كانت فيها فاطمة فقتل وان •

انظروا الى بطرس الأكبر وقد أراد أن يفرج بوطنه من الظلمات الى النور ، فوجد الرجعيون من خصومه فى ولده الداعر المستهتر أداة هدم لبطرس ، فجعلوه محور المؤامرات ، فبصر بهم أبوه وهم يهيمون برد بلاده الى الوحشية والاخلال بما رتبته من نظام ، وكان عليه أن يختار بين أن يكون أباً فيحنو على ولده وبين أن يكون منقذاً لأمته ، فاختار الخير الأعم على الرأفة المترخسة المترهلة فى ولده • وقدم هذا الحاق لقسائمه فلم يجدوا له الا الموت فكان هو الموت وفيه لوطنه حياة •

يا حضرات القضاة :

إذا اقتنعتم بأن المتهمين قتلا عمدا ، ورايتم سبق الاصرارمتواذرا ، ورايتم الجرائم ثابتة لا نزاع فيها فانشروا بحكمكم على مصر الأمن والسلام • اخدموا بلادكم بالنظرة البعيدة الناقبة • لا تسمعوا لدموع المتهمين الكاذبة تطلب منكم الرأفة ، فأنتم موضع الرأفة وأهل لها ، ولكن مكائنها من علكم اليوم هو فى ناحية الأمة • وكيف يقتلان ويهدمان ثم يرجعان منكم بالرأفة ! وای شيء من زافتكم إذا فى كفة الأمة المجروحة فى مزنتها وهيبة حكومتها كاثنة ما كانت • لا تطيعكم من أن يؤخذوا بالهزم الصارم فى هذا الموقف ، فخير لأمتهكم أن توصفوا به ، فهو سيف العدل ، والعدل محتاج لقلمه وسيفه مادام عقله البصير بين هذين الميزانين •

ان القاضى الذى يشدد فى الزجر لخير أمته من طريق العدل فى مثل هذه القضية لهو الذى يثبت أركان النظام من الدولة فى توجيه قوى الشعب الى العمل الشريف المثمر وسلام الجميع •

ان اللين في موضع الشدة لا ينفع الا رجلين أساء الى نفسيهما والى أمتهم معا • وأما الصرامة في الحكم — وهذا يومها — فهي تنفع الناس جميعا • فتخبروا لعلاكم بين أن يخرج المتهمان بعد الحكم ضاحكين فرحين بالحياة ، ولو مؤيدة في الحديد ، وبين أن تخرج الأمة باكية مروعة في مرافقتها مهددة في هيئة الحولة • وأين نحن من الدمة ، والأمة تخاف الأتمين !!

ان الذين يصنون القضاة في مثل هذه القضية بالقسوة لا يحسنون وضع الألفاظ في حدود معانيها ، فلانما القضاة أطباء الهيئة الاجتماعية ييترون العضو الميت من الجسم الحى •

إذا كان من الأفضل أن تحب الحكومة والا تبغض ، فلانما إذا جد الجدل لا يعنيننا أن تحب الحكومة أو تبغض بقدر ما يعنيننا أن تهاب • الحب يذهب ويروح بذهاب أسبابه ، والبغض يتبدل بتبدل ما يدعو اليه ، وأما هيئة الدولة فلئن زالت فلانما هي الثورة وقيام الأشرار وهدم النظام • وليس بعد النظام الا الفوضى ، ولا ينقذ مصر من الفوضى الا القضاء ، وعقدنا والحمد لله في مصر قضاة •

قد يصبنى من يصبنى ، وقد ينحاز عنى إذا لم أكن له على ما عودته أو إذا كنت على نفعه غير مطبق ، وقد لا يبغضنى من الناس من أعف عما بين يديه من مرض ومال ولكن الهيئة — ذلكم السلطان — الذى يبنى على خوف العقاب ورهبة الزجر فانه الأساس لخير البلاد • والناس قد يعيشون بغير أن يبغضوا دولتهم وبغير أن ينصرفوا الى حبها ولكنهم لا يعيشون فيها بغير أعناقهم التى على الأبدان • فخوف العقاب هو مهم الأول ، وما دامت الحكومة لا تأخذهم بظلم ، وأنتم منهم فى هيكل عدلكم المقدس ، فلا يعتدى على هيئة الدولة وأنتم محكمون • علموا الناس أن يخافوا العقاب فيرجعوا من بغض الجريمة الى العمل الشريف المنظم • لا لين عند بواجر الفوضى • لا رحمة بالجناة يحشون القنابل

بالموت ييئونها في الطريق الآمنة التي تحرسها في الأمة هيئة الحكومة •
أيها القضاة الذين ليس لنا في مصر غيرهم بعد الله ! انا من مرافعتنا
بعد القيام بواجبنا أمامكم نثبت كلمة الختام :

صونوا دماء الأمة من عبث الأشرار المجرمين ، وردوا على
الحكومة — كائنة ما كانت — سلطانها من الهيئة • قد تم للنيابة ما عليها
من واجب فلم يبق الا الواجب الأعلى — واجب القضاء الذي يجلس
منا مجلس الحكم لانصاف الأمة المظلومة من الأشرار الظالمين فلا تأخذكم
بالأشرار الجناة رافة ، وان في موت اثنين من الثائرين على هيئة الدولة
بالوان من التقتيل والتخريب لمياة لأمة مجدة شريفة تنام في حراسة
القضاء وعينه البصيرة وعقله الساهر على راحة الناس • لقد لجأت
الحكومة بسلطانها القوي الى عدلكم الأقوى لتصونوا لها هيبتها وانا من
عدلكم الحازم ننتظر في الأئمين حكم القضاة وان لكم في القصاص حياة •

مراجعة

حضرة الأستاذ عبد اللطيف محمود رئيس النيابة

في قضية الجنابة رقم ٣٤٢ بولاق سنة ١٩٣٢

المعروفة بقضية القنابل

يا حضرات المستشارين :

أمام حضراتكم قضية قد يخيّل الى المتهمين أن الاتهام فيها لم يبن الا على أساس اعترافهم فحسب ، وأنهم ما داموا قد عدلوا عن اعترافاتهم وعللوا هذا العدول بما أراحوا أن يدعوه أمامكم من أنه أو عز اليهم به فقد وجب على الاتهام — في رأيهم — أن يلقن بتضويرهم ، وأن يسلم لهم بصحتهم في عدولهم ، وحق على القضاء كذلك أن يأخذ بوجهة نظرهم دون ما مناقشة .

وواقع الحال أنها ظاهرة غريبة . لأنه من غير المنطقي ، ان لم يكن من المجال ، أن تتقدم اليكم النيابة بمتهمين عديدين ، منهم من يعترف على نفسه ومنهم من يعترف على نفسه وغيره ، ويظهر امعات لا قيمة لهم ، وتكون هذه الاعترافات بما أحاط بها من دليل ، وما لا يثبتها من تفصيل — تكون هذه الاعترافات وليدة الجنابة على الذمة والحقيقة ، وتكون قد أخذت بالطريقة التي قالوا بها .

والواقع أن هذه القضية غامر فيها بعضهم أمل الكسب الجاهل ، أو تحت تأثير الماطلة الجعولة ، وتبعه البعض ظناً منه أن ما فعل إنما هو نوع من أنواع الرجولة .

يا حضرات المستشارين :

يحاول المتهمون اليوم ، وقد أثقلهم جرمهم ، أن يخرنّبوا القضية

من حدودها الطبيعية الى ما يمكن أن يفهم منه البسطاء أن القضية ، وهي غنية بأدلتها ، لم تخرج عن كونها رواية حبرت وقائعها ، وأنهم كانوا من الداخلين في تمثيلها رهبة أو مرضاة • ويمينا لو قدروا لادعوا أن القنابل لم تصنع ولم تلق في المنازل والمصالح •

ولكن النيابة ، وقد أحاطت التحقيق بكل الضمانات التي تكفل للمتهم حرية الادلاء بما يريد ، ستريكم أنه لا فائدة ترجى للمتهمين من عدولهم هذا ، وأن الاعترافات التي سجلت عليهم سليمة من كل شائبة ، مؤيدة بالدليل المقنع • وستخرجون من القضية — كما خرجت منها — وأنتم على يقين من أن المتهمين السادس عشر والسابع عشر هما العقيل المدبر ، واليد المحركة ، وأن كل هذه الجرائم التي وقعت في غسق الليل حتى كادت تذهب بأرواح بريئة لانتب لها إنما هي من شيطانها وباملائهما ، وقد موناهما بما لهما أو بما أعطى لهما باسم اعانة العمال الماثلين •

سأقيم البرهان على أن هذه الاعترافات لها حليلها المادى الذى يسقط من قيمة الإنكار ، وسأدلكم على ما يثبت سابقة اعتراف المتهمين بفعلتهم لأشخاص هم أبعد الناس عن رجال البوليس ، وقبل أن يتصل البوليس بالمتهمين أو يعرفهم • وأخيرا سأقيم الدليل على أن حركة العمال التي بدأت بحوادث العنابر والترسانة ومدرسة الفنسون والصنائع تمخفضت عن حركة كان يعمل فيها البعض على أنها حركة هدامة واستدرجوا إليها البعض الآخر ، ثم أنتجت الحوادث التي يهاكم المتهمون من أجلها •

لست من غواة تزويق الكلام والابتكار فيه ، بل سأحاول القصد ما استطعت متجها الى الصميم غير تارك ما قد يظن فيه مصلحة للمتهم دون أن أتقدم اليكم به وبما ينفيه •

ثم أخذ حضرة رئيس النيابة العمومية في شرح وقائع الدعوى والتطبيق القانونى ثم أتم مرافعته بالعبارة الآتية :

يا حضرات المستشارين :

الآن وقد فرغت من واجبي فأطلبكم على القضية بما وسعته من دليل أجد المبرر في نفسي لأن أقول لحضراتكم كلمة هي فصل الخطاب •

ان الغرية التي تستخدم بها المتهمون ، بل أستغفر الله وأقول ان الفحش في القول والامعان في الكذب الذي تقدم بهما المتهمون يتطلبان منكم صرامة في الحكم وشدة في الاستنكار •

انهم لم يتقدموا لكم بدفاع عادي كغيرهم من المتهمين ، على تعدد ما عرض عليكم وعلى غيركم من قضايا • ولكنهم لجأوا الى أسوأ ما يمكن أن تلجأ اليه طائفة من المجرمين — لجأوا الى الطعن في كل هيئة وليت التحقيق أو كان لها اتصال بالتحقيق •

كان البوليس هدفا لمطاعنهم فلم يتركوا فرعا من فروع الا تحدثوا عنه بمطالب •

فادارة الأمن العام ليس فيها أمن ، وهي التي تسيطر على الهيئة التنفيذية في البلاد لجرد أن كان لها ضلع في معرفة المجرمين •

والقسم السياسي جعلوه ملفقا ، لا لمصلحة في دعواهم ولكن لأنه سعى وراء الحقيقة حتى وصل اليهم فأراد أن يطهر من أمثالهم البلاد •

حتى ضباط البوليس الذين قاربوا المتهمين ولو من بعيد جعلوا منهم أيضا أعضاء في مؤامرة واسعة النطاق لا تتناول الا أمثال العزب وعبد الرسول •

بعد أن شقوا حقدهم تخطوا تلك الهيئة المحترمة في كل الممالك الى ما هو شاق على النفس التحدث فيه •

جرؤءا لمصوبوا سهاما ظنوا أنهم يصيرون بها معقلا من أهم المعامل
في كرامة البلاد .

ولن أطيل عليكم التحدث عنها فهي هيئة لى شرف الانتماء اليها وفخر
الانتساب الى أسرتها .

هيئة أرغعها ويرفعها الكل الى الهامات ، فتتحنى أمام شرفها
الرؤوس وتطأطأ أمام عظمتها الجباء .

هيئة تمثل الهيئة الاجتماعية ، وهي في الوقت نفسه جزء من قدس
القضاء .

ان الهيئة التي لا تعرف ضغنا ، كهيئة النيابة ، لا تعرف إشتخافا ،
ولكنها تعرف الكرامة ، وتعرف الواجب والقانون . فمن شاء أن يحتكم
الى القانون فنحن سواسية . ننتقدم اليه على أن يكون ندا يعرف
القانون .

وعندها يكون للنيابة فخر الاجتكام وفخر الحكم ، وعندها يقول
القدس الذي تخضع له اذا كانت النيابة تجنت على المتهمين أو أنها كانت
وستكون دائما الركن الحصين .

يا حضرات المستشارين :

يظهر أن البغاث بأرضنا يستتسر . فما دام المتهمون قدروا على
التقول في النيابة فلم لا يتقولون أيضا على القضاء .

الى هذا الحد وصل الاستهتار بكل ما هو مصون ...

راشوا أيضا سهامهم يظنون أنها تصيب فرموا رئيس المحكمة قاضى
المعارضة ، ورموا قاضى الاحالة وهم يعمهون . أنا لا أجرؤ أن أتكلم
عن القضاء . لقد كنتم قضاة ، وأنتم الآن قضاة وهم يتهمون القضاء .

وليس لى أن أدفع عن كرامة هيئة عدلها من عدل السماء ، انما لى أن
أطرح الأمر عليكم لتقولوا رأيكم فى رجال القضاء (١) .

مرافعة

حضرة صاحب العزة محمد إبيب عطية بك النائب
العمومى أمام محكمة جنائيات مصر فى قضية اتهم محمد
على الفلال بالشرع فى قتل دولة اسماعيل مسحقى
بأنشا رئيس مجلس الوزراء دور شهر يوليه سنة ١٩٣٢ .
بجلسة الجنائيات المنعقدة تحت رئاسة حضرة محمد نور
بك وعضوية حضرتى ابراهيم ثروت بك ومحمد نجيب
مسالم بك

حملت أمانة الدعوى العامة وهى أمانة خطيرة تقبوا بها الجبال
الرواسى ، ولكن خطرهما تحوطه روعة ، ويحفه جلال يتأبى به من يعرف
الواجب ويصبو الى حسن القيام به .

بالأمس كتبت جالسا بينكم أشاطركم ملتمانون من مشقة فى استظهار
الحقيقة واستخلاص غوامضها ، وكنت ألتمس معكم عون بارئ للكائنات
الذى يعلم السر وأخفى ، وأستلهم كما تستلهمون صواب الراى
وطمأنينة اليقين .

(١) ملحوظة : حكم فى هذه القضية ببراءة شعبان احدى شعبان وعبد
الرحمن مليوه وشوقى سلمان ومحمد جاد وحسن والذكور نجيب أسكندر
ومجانبه ابراهيم محمد عبده الشهير بالفلاح . ويلقى المتهمين بمقولات تتراوح
بين الحبس مع الشغل لمدة ستة شهور وبين الاشغال الشاقة لمدة خمس
عشرة سنة .

فلا عجب ، وهذه حالى ، وتلك دخيلة نفسى ، ان شعرت اليوم في موقفى امامكم بمبء مضاعف الأثقال ، عبء الأمين على دعوى الهيئة الاجتماعية ذات الخطر العظيم ، وعبء الزميل الذى عليه لزمائى ، وقد لابس ما يمانون ، واجب الجهد لهم حتى يطمئنوا الى ما به يقضون .

نادانى هذا الولجب من أول لحظة توليت فيها تحقيق هذه القضية فلبيت نداءه ، وسرت في سبيلى على نحو أرجو أن يكون رائدى فيه لم يغب ، وبغيتى منه لم تفت ، والرضا عنه لم يضر به .

جعلت رائدى أن يكون تحقيق النياية — التى حات عملا في نظامنا القضائى محل قاضى التحقيق — محوطا بكل ما يلبسه ثوب تحقيق ذلك القاضى ، ويكسبه مميزاته ويزينه بضماناته . فأفسحت للمتهم ما وسعنى الافساح له ، وسارعت الى اجابته في كل ما طلب ، وأرحت هواجسه مما خشى ، وأوصلت رجاءه لعنوانه في الصغيرة وفي الكبيرة ، وهيات له في أولى خطوات التحقيق الاستجداد بمن يدافع عنه ، فأبلغت رسالته لنقابة المحامين لتتدب له من يستودعه سره ويرعى مصلحته . ولما أهدرت تلك الرسالة ، ولم يجب داعيها ، طمأنت لوعته ، وهدأت ثورته ، ذاكرا له أن أوان ذلك لم يفت وأن اكل سائلة قرارا .

كان هذا رائدى . أما بغيتى فقد عملت على أن أسعف خلجات نفوسكم ، وخطرات قلوبكم ، وتشدد ضمائركم ، بكل مدد من الوقائع بغير تمييز بين ما راح منها في جانب الاتهام وما يمكن أن يتعلق به الدفاع .

أما رسالكم فأمل أن يكون مظهره كامة الحق التى لا بد أنكم تأثلوها اليوم أو غد ، أليس الصبح بقريب ؟

حسبى بما قدمت فائحة لرافعة الاتهام . أستغفر الله بل فائحة لقصة الحادث الجلل الذى وقع في صدر يوم ١٦ مايو الماضى ، وما

تستبهم وقائمه بجملتها وتفاصيلها من تحليل وتمحيض ، سواء أكان ذلك من ناحية القانون أو من ناحية البواعث النفسية وأثرها في الاجتماع ، ثم استظهار ما انكشف لعيني من أدوائها بمطحرجه جليا أمام حكمتكم البصيرة ، لتصفوا الدواء وتعالجوا الداء .

سأعرض على أسماعكم هذه القصة مستهديا في سردها بنور اليقين ، وطمأنينة الاقتناع ، وسأبذل كل ماقد يحيطني — ولو في مظاهر الأشياء — بشبهة من قال « لكل حال لبوسها » فليس بهين على — وقد أوفيت على تلك السنين — أن أتحلل بين عشية وضحاها من تفكير القاضى وميزان تقديره وروح تمييزه ، لاسيما وأننى لا أزال على نسبي القديم .

سأبذل ثوب التهافت على الاتهام ، كما نبذت في تحقيق الترحيب به والهشاشة له . وآية ذلك ما أرجو أن تشهد به ثنايا من السير وراء كل جليل وكل دقيق من الوقائع التى قد تنفع ذاك المتهم المائل أمامكم . ولم تكن لى أية مفخرة فى ذلك ، فان الواجب المبريق قد تضاعف فى نظرى عشية رأيت المتهم وقد استجد فلم ينجد ، والتمس المواتاة من حظيرة رجال الدفاع فلم يؤات . ولعل تلك الهيئة الموقرة لم ترد بتفاضلها الا معنى الاستنكار لما وقع . ولملها ، ولتعذرني اذا انتزعت معنى آخر فيه الترضية لنفسى ، وثقت بأن الرجل — وأمره اذ ذاك فى يدى — ليس فى حاجة الى معونة . واننى لأشكر لها هذه التمية المغطاة ان كان حقا ما همس به الظن الكريم .

ذات انى سأبذل ثوب التهافت على الاتهام ، وها أنا أطيع منطق هذا الوعد ، وأكف فى هذه المرحلة من حديثي عن تقديم المتهم بصفاته التى كشف عنها التحقيق ، خشية الظن اللطين بأننى أستعجل ضوما قاتما من حوله تتعكس أشعته على ما سأسرده من أعماله ، فينجسم صغيرها ويمظم ضئيلها . سأكف عن ذلك الآن برغم ما جرت

به العادة من تقديم المتهم لقضائته بالصفات التي انكشفت عنه قبل الاستقبال في بيان ما أتاه .

وسلك أيضا في الآونة الحاضرة عن ذكر من وقعت عليه الجنائية فان القنوية به في هذه المناسبة قد يؤول أنى أستثير غضبتكم على الجاني قبل أن أقنع ضماثركم بجنائته ، وأو أنه تأويل وأهى الأساس ، فانكم أكبر من أن تغضبوا قبل أن تظمنوا ، وأنا في هذا ممكن على عهد مستول .

ثم تكلم سعادة النائب عن وقائع الدعوى والتطبيق القانونى وتمقق ظرف سبق الاصرار والقرصود وانتهى من مرافقته بالخاتمة الآتية :

لقد أبنت مبلغ ندالة الجريمة ومدى شرها اذا هى وقعت على كابر جليل المقام . أبنت ذلك بقدر ما فسخ لى موقف النائب العمومى وأجازته الأمانة فى عنقه . ولو أن المجال حر لقائل لسمعت كل ما يتطلبه حزمكم وترضاه عدالتكم ، ولكنى كما أسلفت مؤمن بفطنتكم ولى فيها كل النقاء .

على أن هناك أمرا أجل شأننا وأعظم خطرا لا أستطيع حمل ضميرى على كتمانته ولا عقد لسانى عن بيانته . هذا الأمر الخطير هو ما أشرت اليه فى صدر مرافقتى وألمحت به عند حديثى على الباعث الذى دفع المتهم الى جنائته .

ذلك هو ولع التبطل ، وغواية الاستعظام ، وما أجملت فى جلسة الاحالة بأنه داء اجتماعى وبيل يهدد الحكومات فى كيانها ، ويشل النظام من أساسه ، وأنه ان لم يؤخذ بيد عسراء استقطط ضرره وعز انتقاء شره .

نعم استقبل ضرره وعز انتقاء شره •

ارسموا لأنفسكم ، بواسع خبرتكم ونلفذ بصيرتكم ، حال البلاد
وقد أصبح كل عظيم فيها هدفا لنار أى شقى تربعت فى نفسه الشريرة
هذه الأفكار الخطرة •

تلك حال أستهيذ بللله منها •

هى مضية للطمانينة ومقتلة للنبوغ ومفسدة لنفس الماملين •
بل هى حفرة يتردى فيها اخلاص المخلصين ونشاط المجدين وايمان
المصلحين •

انتم قضاة الحق ولكمك ايضا مريو الخلق •

وكلمة العدل التى بها تتطقون يتجاوب هداها فى نفوس ناشئة ،
ونفوس فائرة ، ونفوس فرقة خاطرة •

فاجطوا حكمكم رسالة عدل وبلاغ عبرة وبشرى سلام •

فاذا جنحتم الى الرحمة فاشملوا بها النشء وقد أوشك أن
ياتوى ، والبلاد وقد دب فيها ذاك الداء الوخيم •

انتم اطباء النفس كما انتم قضاة العدل • والطبيب البصير
لا يتردد ولا ينى عند الضرورة الحلكمة ، والقاضى العازم يهذب بالزجر
الحكيم ، وهو فى زجره من الراحمين •

وازنوا بين روعة الرحمة وقد حلت بالبلاد وبالنشء وبين
ضآلتها ان هى حلت بهذا المجرم العتيد ، ثم اقضوا قضاءكم والله
معكم انه نعم الهادى ونعم النصير •

ومن الخطب الهامة التي يجب معرفتها من خطب الإمام على
رضي الله عنه وخطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا شك أن الرسول
ﷺ كان قمة البلاغة والخطابة وقد صدق أمير الشعراء عندما قال
في أمير الأنبياء :

فما عرف البلاغة ذو بيان

إذا لم يتغن ذلك له كتابا

كان إذا خطب يناطح السحاب ويتناول إلى الجوزاء ويزاحم
الشمس في الجلاء ، كان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، بعيد
المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من
جوانبه وتنطلق الحكمة من نواحيه •

ومهما قال اللسان وأملى الجنان وفلس البيان وسال البنان
فلن أصل إلى شاطئ البحر الذي عبره فارس المتأخر على بن أبي
طالب رضي الله عنه •

من خطب الإمام على كرم الله وجهه

١ - خطبته الزهراء

« الحمد لله الذى هو أول كل شيء وبديه ^(١) ، ومنتهى كل شيء وولىه ، وكل شيء خاشع له ، وكل شيء قائم به ، وكل شيء ضارع اليه ، وكل شيء مستكين له . »

خشعت له الأصوات ، وكلت دونه الصفات ، وضلت دونه الأرواح ، وحات دونه الأحلام ^(٢) ، وانحصرت ^(٣) دونه الأبصار ، لا يقضى فى الأمور غيره ، ولا يتم شيء منها دونه .

سبحانه ما أجل شأنه ، وأعظم سلطانه ، تصبغ له السموات العلوى ، ومن فى الأرض السفلى له التسبيح والعظمة ، والملك والقدرة ، والحول والقوة ، يقضى بعلم ، ويعفو بعظم .

قوة كل ضعيف ، ومفرغ كل مملوك ، وغز كل ذليل ، وولى كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، وكاشف كل كربة ، المطلع على كل خفية ، المحضى لكل سريرة ، يعلم ما تكن الصنفور ، وما ترضى عليه السميرة .

الرحيم بخلقه ، الرؤوف بعباده ، من تكلم منهم سمع كلامه ، ومن سكت منهم علم ما فى نفسه ، ومن عاش منهم فعل به رزقه ، ومن مات منهم فاله مصيره ، أحاط بكل شيء علمه ، وأحصى كل شيء حقله .

اللهم لك الحمد عدد ما تحى وما تميت ، وعدد أنفاس خلقك

(١) البديه : أول كل شيء وبذاه .

(٢) الأحلام : المثل .

(٣) انحصرت : تعبت وكلت الأبصار فلم تستطع أن تراه .

ولفظهم ولحظ أبصارهم ، وعدد ما تجرى به الريح ، وتحمله
السحاب ، ويختلف به الليل والنهار ، ويسير به الشمس والقمر
والنجوم ، حمدا لا ينقضى عدده ، ولا يفنى أمده •

اللهم أنت قبل كل شيء ، واليك مصير كل شيء ، وتكون بعد هلاك
كل شيء ، وتبقى ويفنى كل شيء ، وأنت وارث كل شيء ، أحاط علمك
بكل شيء ، وليس يعجزك شيء ، ولا يتوارى عنك شيء ، ولا يقدر أحد
قدرتك ، ولا يشرك أحد حق شركك ، ولا تهدى العقول لصفتك ،
ولا تبلغ الأوهام حدك •

حارت الأبصار دون النظر اليك ، فلم ترك عين فتغبر عنك كيف
أنت وكيف كنت ، لا نعلم اللهم كيف عظمتك ، غير أنا نعلم أنك حي
قيوم ، لا تأخذك سنة ^(١) ولا نوم ، لم ينته اليك نظر ، ولم يدركك
بصر ، ولا يقدر قدرتك ملك ولا بشر •

أدركت الأبصار ، وكتبت الآجال ، وأحصيت الأعمال ، وأخذت
بالنواصي والأقدام ، لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوهشة ، ملأت كل
شيء عظمة ، فلا يرد ما أردت ، ولا يعطى ما منعت ، ولا ينقص
سلطانك من عصاك ، ولا يزيد في ملكك من أطاعك •

كل سر عندك علمه ، وكل غيب عندك شهادته ، فلم يستتر عنك
شيء ، ولم يشغلك شيء عن شيء ، وقدرتك على ما تقضى كقدرتك على
ما قضيت ، وقدرتك على القوى كقدرتك على الضعيف ، وقدرتك على
الأحياء كقدرتك على الأموات •

فاليك المنتهى ، وأنت الموعد ، لا منجى إلا اليك ، بيدك ناصية

(١) السنة : النعاس •

كل دابة ، وبإذلك تسقط كل ورقة ، لا يعزب ^(٥) عنك مثقال ذرة ،
أنت الحي القيوم •

سبحانك ، ما أعظم ما يرى من خلقك ، وما أعظم ما يرى من
ملكوتك ، وما أعلما فيما غاب عنا منه ، وما أسبح ^(٦) نعمتك في
الدنيا وأحقها في نعيم الآخرة ، وما أشد عقوبتك في الدنيا ، وما
أيسرها في عقوبة الآخرة •

وما الذي نرى من خلقك ، وتعتبر من قدرتك ، ونصف من
سلطانك ، فيما يغيب عنا منه ، مما قصرت أبصارنا عنه ، وكنت
عقولنا دونه ، وحالت العيوب بيننا وبينه •

فمن قرع سننه ، وأعمل فكره : كيف أقمت عرشك ؟ وكيف
ذرات ^(٧) خلقك ؟ وكيف علقت في الهواء سماءاتك ؟ وكيف مددت
أرضك ؟ يرجع طرفه ^(٨) حاسرا وعقله مبهورا ، وسمعه والها ^(٩) ،
وفكره متحصرا •

فكيف يطلب علم ما قبل ذلك من شأنك ، إذ أنت وحيدك في
الغيوب التي لم يكن فيها غيرك ، ولم يكن لها سواك ، لا أحد سواك
حين فطرت الخلق ، ولا أحد حضرك حين ذرات النفوس •

فكيف لا يعظم شأنك عند من عرفك ؟ وهو يرى من خلقك
ما ترتاع به عقولهم ، ويمسأ قلوبهم ، من رعد تفرع له القلوب ،
وبرق يخطف الأبصار ، وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سماءاتك ، وليست

(٥) أي لا يغيب من علمه شيء ولو كان مثقال ذرة •

(٦) أي إن نعمته سابعة تالية •

(٧) نرا الخلق : خلقهم •

(٨) الطرف : البصر . حاسرا : كئيبا •

(٩) الوله : ذهاب العقل والتعجب •

فيعم فترة ^(١٠) ولا عندهم غفلة ، ولا بهم فعصية •

هم أعلم خلقك بك ، وأخوفهم لك ، وأقومهم بطاعتك ، ليس
ينشأهم نور العميون ، ولا سهو العقول ، لم يسكنوا الأصلاب ،
ولم تظمهم الأرجام ، أنشأتهم إنشاء بواستقوتهم سماواتك ، وأكرمهم
بجوارك ، وأثمنتهم على وحيك ، وجنبتهم الآفات ، ووقيتهم السيئات ،
وطهرتهم من الذنوب ، فلولا تقويتك لم يقووا ، ولولا تثبيتك لم
يثبتوا ، ولولا رهبتك لم يطيمروا ، ولولاك لم يكونوا •

أما انهم على مكانتهم منك ، ومنزلتهم عنك ، وطول طاعتهم
إياك لو يماينون ما يخفى عليهم لاحتقروا أعمالهم ، ولعابوا أنهم لم
يهودوك حق عبادتك •

فسبحانك خالقاً ومعبوداً ومحموداً بحسن بلائك عند خالقك ، أنت
خلقت ما جبرته مطعماً ومشرباً ، ثم أرسلت داعياً إلينا ، فلا الداعي
أجبن ، ولا فيما رغبنا فيه رغبنا ، ولا إلى ما شوقتنا إليه اشتقنا •

أقبلنا كلنا على جيفة ^(١١) نأكل منها ولا نشبع ، وقد زاد
بعضنا على بعض حرصاً ، لما يرى بعضنا من بعض فالتفتضنا بأكلها ،
واصطلحنا على حبها ، فأعمت أبصار صلاحنا وفقهائنا ، فهم
ينظرون بأعين غير صحيحة ، ويسمعون بأذان غير سميمة ، فحيثما
زالت زالوا معها ، وحيثما مالت أقبلوا إليها •

وقد عاينوا المأخوذين على الفترة ^(١٢) كيف فجساتهم الأمور ،
ونزل بهم المحذور ، وجاءهم من فراق الأحبة ما كانوا يتوقعون ،

(١٠) الفترة : الضعف •

(١١) الجيفة : هي جثة كل شيء يموت إذا انتهت وخرجت رائحتها
والقصود هنا الدنيا ، فهي جيفة منتنة لا يتكالب عليها إلا كلاب الطريق •

(١٢) على فترة : على غفلة على سبيل المجازة •

وتقدموا من الآخرة الى ما كانوا يوعدون ، فارقوا الدنيا وصاروا الى القبور ، وعرفوا ما كانوا فيه من الغرور ، فلجتمعت عليهم حسرتان . :
حسرة الموت وحسرة الموت •

فاغربت لها وجوههم ، وتغيرت بهما ألوانهم ، وعرقت بها جباههم ، وشخصت أبصارهم ، وبردت أطرافهم ، وحيل بينهم وبين المنطق •

وان أحدهم لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه ، ثم زاد الموت في جسده حتى خالط بصره ، فذهبت من الدنيا معرفته ، وهلكت عند ذلك حجة ، وعلين هول أمر كان مغطى عليه ، فأحد (١٣) لذلك بصره •

ثم زاد الموت في جسده ، حتى بلغت نفسه الحلقوم ، ثم خرج روجه من جسده فصار جسدا ملقى لا يجيب داعيا ، ولا يسمع باكيا ، فنزعوا ثيابه وخلعته ، ثم وضأوه وضوء الصلاة ، ثم غسأوه وكفونوه أدرأجا (١٤) في أكفائه ، وحنطوه ثم حملوه الى قبره ، فمدلوه (١٥) في حفرة ، وتركوه مغطى بمقطعات من الأمور ، وتمت مسألة منكر ونكير (١٦) ، مع ظلمة وضيق ، ووحشة قبر ، فذلك مثواه حتى يبلى جسده ويصير ترابا •

حتى اذا بلغ الأمر الى مقداره ، وألحق آخر الخلق بأوليه ، وجاءه أمر من خالقه ، أراد به تجديد خلقه ، فأمر بصوت من

(١٣) أى جعله حديدا شديدا شامسا •

(١٤) الإدراج : لف الشيء في الشيء . فما هو قدلف في أكفائه •

(١٥) دلوه أى أنزلوه •

(١٦) ذلك أن الانسان اذا وضع في قبره وذعب عنه أصحابه وأهله وخلاته جاءه ملكان منكر ونكير ، فيقعدان الميت ويسألاه : من ربك ؟ وما دينك وما النبى الذى بعث فيكم •

سماواته ، فصارت السماوات مورا (١٧) ، وفزع من فيها ، وبقي ملائكتها على أرجائها •

ثم وصل الأمر الى الأرض - والخلق رفات لا يشعرون - فأرج (١٨) الأرض وأرجفها وزلزلها ، وقلع جبالها ونسفها وسيرها ، وركب بعضها بعضاً من هيئته وجلاله ، وأخرج من فيها ، فجددهم بعد بلائهم ، وجمعهم بعد تفرقهم ، يريد أن يحصيهم ويميزهم •

فريقاً في ثوابه ، وفريقاً في عقابه ، فخلد الأمر لأبده دائماً ، خيره وشره ، ثم لم ينس الطاعة من المطيعين ، ولا المعصية من العاصين ، فأراد عز وجل أن يجازي هؤلاء وينتقم من هؤلاء •

فأثاب أهل الطاعة بجواره وحلول داره وعيش رغد وخلود أبدي ومجاورة الرب ، وموافقة محمد ﷺ ، حيث لا ظن (١٩) ولا تغير ، وحيث لا تصيبهم الأحزان ، ولا تعترضهم الأخطار ، ولا تشخصهم الأسفار •

وأما أهل المعصية فخلدهم في النار ، وأوثق منهم الأقدام ، وغلت (٢٠) منهم الأيدي الى الأعناق ، في لهب قد اشتد حره ، وفأر مطبقة (٢١) على أهلها ، لا يدخل عليهم بها روح (٢٢) ، همهم شديد ، وعذابهم يزيد ، ولا مدة للدار تنقضي ، ولا أجل للقوم ينتهي •

(١٧) بارت السماوات أى تحركت وجاءت وذهبت حتى اختلف نظامها •

(١٨) أى جعلها ترج وتتهتز وتضطرب وتلقى ما في جوفها •

(١٩) الظن : الرحيل •

(٢٠) غلت الأقدام : قيدت وسلسلت بالسلاسل والقيود •

(٢١) مطبقة على أهلها : قد أحاطت بهم فلا يستطيعون الفكك منها •

(٢٢) الروح : هو النسيم الطليل الذى ينهش الكتفوس ويسرها •

اللهم انى أسألك بأن لك الفضل ، والرحمة بيبذك ، فانت
وليها ، لا يليها أحد غيرك ، وأسألك باسمك المفضون المكنون ، الذى
قام به عرشك وكرسيك وسماواتك وأرضك ، وبه ابتدعت خلقك ،
والصلاة على محمد ، وللنجاة من النار بمرمتك ، آمين ، انسك
ولى كريم .



٢ - خطبة جامعة لفصل الخير

قام على بن أبى طالب خطيباً فقال :

« الحمد لله فاطر الخلق وفالق الاصباح ، وناسر الموتى وباعث
من فى القبور ، وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله .

أوصيكم بتقوى الله ، فان أفضل ما توسل به العبد الايمان
والجهاد فى سبيله ، وكلمة الاخلاص فانها الفطرة ، واقام الصلاة
فانها الملة ، وايتاء الزكاة فانها من غريضة ، وحوم شهر رمضان
فانها جنة (٢٣) من عذابيه ، وحج البيت فانه منشفة للفقر
محفضة (٢٤) للذنوب ، وصلة الرحم فانها مثرة (٢٥) فى المال
منسأة (٢٦) فى الأجل محبة فى الأهل ، وصدقة السر فانه تكثر الخطيئة
وتطفى غضب الرب ، ومنع المعروف فانه يدفع ميتة السوء ويقى
مصارع الهول .

(٢٣) جنة : وقلة .

(٢٤) منحضة للذنوب : مذهبة له ما حقه له .

(٢٥) أى سبباً للثراء والغنى .

(٢٦) منسأة فى الأجل : زيادة فى العمر .

أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعد
المتقون فإن وعد الله أصدق الوعد ، واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ فإنه
أفضل الهدى ، واستتوا بسنته فإنها أفضل السنن ، وتعلموا كتاب
الله فإنه أفضل الحديث ، وتفقهوا في الدين فإنه ربيع القلوب •

واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور ، وأحسنوا تلاوته
فإنه أحسن القصص ، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم
ترحمون •

وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون ، فإن
العالم العامل يغير علمه كالجاهل الجائر الذي لا يستقيم عن جهله ،
بل قد رأيت أن الحجة أعظم والصرّة أدوم على هذا العالم المنسلخ
من علمه ، على هذا الجاهل المتحير في جهله ، وكلاهما مضلل مثير •

لا تقاتبوا ففتشوا ، ولا تشكوا فتكفروا ، ولا ترخصوا لأنفسكم
فتذهلوا (٣) ، ولا تذهلوا في الحق فتفسروا ، ألا وإن من الحزم
أن تثقوا ، ومن الثقة ألا تفتروا ، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه ،
وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه ، من يطع الله يأمن ويستبشّر ،
ومن يعص الله يخف ويندم ، ثم سلوا الله وارغبوا إليه في العافية ،
وخير ما دام في القلب اليقين •

إن عوازم الأمور أفضلها ، وإن محدثاتها شرارها ، وكل محدث
بدعة ، وكل محدث مبتدع ، ومن ابتدع فقد ضيع ، وما أحدث
محدث بدعة إلا ترك بها سنة •

المغبون من غبن دينه ، والمغبون من خسر نفسه ، وإن الرياء

(٢٧) الذهول : ترك الشيء تناسيا له من عمد أو شغله فاضل منه ،
فإن الاتكاز من الترخص في الأمور يشغل الاتساع كثيرا عن واجبات الدين •

من الشرك ، وان الاخلاص من العمل والايمان ، ومجالس الله تتسبى
القرآن ويحضرها الشيطان وتدعو الى كل غي ، ومجالسة النساء ترغيب
القلوب وتطمع اليه الأبصار وهى مصائد الشيطان •

اصدقوا الله فان الله مع من صدق ، وجانبوا الكذب فان الكذب
مجانب للايمان ، ألا ان الصدق على شرف منجاة وكرامة ، وان
الكذب على شرف ردى وهلكة •

ألا وقولوا الحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، وأدوا
الأمانة الى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم ، وعودوا بالفضل
على من حرمكم ، وإذا عاهدتم فأوفوا ، وإذا حكمتم فاعدوا ، ولا
تفاخروا بالآباء ولا تتأبزو (٢٨) بالآلقاب ولا تمازحوا ، ولا يغضب
بعضكم بعضا •

وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين (٢٩) وفي سبيل الله وابن
السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وارحموا الأرملة واليتيم ، وأفشوا
السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها •

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ،
واتقوا الله ان الله شديد العقاب » (٣٠) •

وأكرموا الضيف ، وأحسنوا الى الجار ، وعودوا المرضى، وشيعوا
الجنائزة ، وكونوا عباد الله أخافا •

(٢٨) التنازع بالآلقاب : رعى الناس بعضهم بعضا بالآلقاب السيئة
المهينة •

(٢٩) الغارمين : الذين لزمهم الدينون في غير معصية •

(٣٠) سورة المائدة : ٢ •

أما بعد ، فإن الدنيا قد أجهت وأذنت بoudac ، وإن الآخرة
قد أظلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم وغدا السباق ، وإن
السبقة (٣١) الجنة والغاية النار .

ألا وانكم في أيام مهل من ورائها أجل يحته عجل ، فمن أخضع
الله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمهه ،
ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمه وضره أمه ، فاعملوا
في الرغبة والرهبة ، فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها
رهبة ، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة ، فإن
الله قد تأذن المسلمين بالحسنى ولن شكر بالزيادة .

وانى لم أر مثل الجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ، ولا
أكثر مكتسبا من شيء كسبه ليوم تدخر فيه الذخائر وتبلى فيه السرائر
وتجتمع فيه الكبائر .

وانه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لا يستقيم به
الهدى يجر به للضلال ، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك ، ومن
لا ينفعه حاضره فمآزبه (٣٢) عنه أعور وغائبه عنه أعجز .

وانكم قد أمرتم بالظن (٣٣) ودلائم على الزاد ، ألا وإن أخوف
ما أخاف عليكم اثنين : طول الأمل واتباع الهوى ، فأما طول الأمل
فينسى الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق .

ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ،
ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ، ولا تكونوا من

(٣١) أى أن الجنة مجال التسليق والنفس .

(٣٢) المآزب : الغلب اليميد .

(٣٣) الظن : الرحيل .

بنى الدنيا ، فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل » (٣٤) .



٣ - وصيته الجامعة لكميل

عن كميل النخعي قال : أخذ بيدي علي بن أبي طالب ، فخرج بي الى ناحية الجبانة ، فلما أصر (٣٥) تنفس الصعداء ثم قال :

« يا كميل ، ان هذه القلوب أوعية ، فقيرها أوعاها ، فاحفظ عني ما أقول لك :

الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، مع كل ريح يميلون ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا الى ركن وثيق .

يا كميل ، العلم يهرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، ومنفعة المال تزول بزواله .

يا كميل ، محبة العلم دين يدان به ، يكسب الانسان الطباعة في حياته ، وجميل الأحداث بعد وفاته ، والعلم حاكم والمال مكوم عليه .

يا كميل ، مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون مابقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، ها ان هاهنا لعلماء جما - وأشار بيده الى صدره - لو وجدت له حملة ، بلى أجد لقنا (٣٦) غير مأمون ، يستعمل آلة الدين للدنيا ، ويستظهر

(٣٤) البداية والنهاية لابن كثير (٣٠٧/٧) ، وحياة الصحابة (٤٧٢/٣ - ٤٧٤) ، وجاء بعضها في اعجاز القرآن للباقلائي (ص ١٤٥) .

(٣٥) أصر : خرج الى الصحراء .

(٣٦) اللقن : سريع الفهم والنفطة ، ولكنه غير مأمون أى غير ثقة .

بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه ، أو منقادا لحملة الحق ولا بصيرة في أحنائه (٣٧) .

ينقدح (٣٨) الشك في قلبه لأول عارض من شبهة ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، أو منهوما باللذة سلس (٣٩) القيادة للشهوة ، أو مغرما بالجمع والاختار ، ليسا من رعاة الدين في شيء ، أقرب شيئا بهما الاتعام السائمة (٤٠) .

كذلك يموت العلم بموت حامله ، اللهم باي لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله ، أما ظاهرا مشهورا ، وأما خائفا مغمورا ، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته .

وكم ذا وأين ؟ أولئك والله الأقولون عددا ، والأعظمون عند الله قدرا ، بهم يحفظ الله حججه وبيئاته ، حتى يودعوها نظراءهم ، ويوزعوها في قلوب أشباههم .

هجم بهم العلم على حقيقة الايمان حتى باثروا روح اليقين ، فاستلثوا ما استخفن المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالرفيق الأعلى .

(٣٧) أحنائه : جوانبه ، فهو ينقاد لأهل الحق لا نهما للحق وإيماننا به ولكن هو التقليد لحسب ، فهو لا يحمل بين جوانب نفسه بصيرة يميز بها بين الحق والباطل .

(٣٨) أى يؤثر الشك في صدره عند ورود أى شبهة إليه ، ذلك لأن الايمان واليقين لم يتمكن في قلبه .

(٣٩) سلس القيادة : سهل الانتقاد .

(٤٠) الاتعام السائمة : الماشية والأغنام التي ترمى حيث شامت . والمقصود هنا أنه ليس له انقياد للحق ، به هو منقاد للشهواته ونزواته حيثما كفت ، وقد يقلد أهل الحق في شيء ثم ينكس على عقبيه فينقاد بسهولة لأهل الباطل .

يا كميل ، أولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاة إلى دينه ، آه
آه شوقا إليهم . انصرف يا كميل اذا شئت (٤١) .



٤ - من كلامه عليه السلام

في آداب الحكماء والعلماء

« من حلم ساد ، ومن ساد استفاد » ومن استعصيا حرم ، ومن
هاب خاب ، ومن طلب الرئاسة صبر على السياسة ، ومن أبصر عيب
نفسه عفى عن عيب غيره ، ومن سل سيف البغي قتل به .

ومن احتكر لأخيه بثرا وقع فيها ، ومن نسي زلته استعظم زلة
غيره ، ومن هتك حجاب غيره انتهكت عورات دينه ، ومن كابر في
الأمور عطب ، ومن اقتحم اللجج (٤٢) غرق .

ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بمقله زل ، ومن تجبر على
الناس ذل ، ومن تعمق في العمل مل ، ومن صاحب الأئذال هكز ،
ومن جالس العلماء وقر ، ومن جغل مداخل السوء اتهم .

ومن حسن خلقه سهلت له طريقه ، ومن حسن كلامه كانت الهيبة
أمامه ، ومن خشى الله فاز ، ومن استقاد الجهل ترك طريق العدل ،
ومن عرف أجله قصر أمله :

(٤١) المعتمد الفريد - ابن عبد ربه الأندلسي - لجنة التأليف والترجمة
والنشر ١٩٤٠ م - (٢١٢/٢ - ٢١٣) .

(٤٢) اللجج : جبع لجة . ومنه لجة البحر : الماء الكثير الذي لا يرى
طرفاه . فمن يخل في غمرة هذا الماء الكثيف يغرق . وكذا من دخل في لجج
الأمور في اختلاطها وبشبهاتها وتزيعاتها يغرق فيها فلا يهتدي للحق فيها .

ثم أنشأ يقول :

ألبس أخاك على عيويه واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفينه وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفصلا وكل الظلوم الى حسبه « (٤٣) »



• حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته ، وتقديم العمل ، وترك الأمل ، فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله .

أين التعب بالليل والنهار ، والمقتم لجج البحار ، ومفاوز القفار (٤٤) ؟ يسير من وراء الجبال وعالج (٤٥) الرمال ، يصل العدو بالرواح ، والمساء بالصباح في طلب محقرات الأرباح ، هجمت عليه منيته ، فعمظت بنفسه رزيقه ، فصار ما جمع بورا ، وما اكتسب غرورا ، ووافى القيامة محسورا (٤٦) .

أيها اللاهى النار (٤٧) نفسه ، كائن بك وقد أهلك رسول

(٤٣) المقيد الفريد لابن عبد ربه (٢/ ٤٢٠ - ٤٢١) .

(٤٤) الماوى : الصحارى القفار المهلكة ، وقد سميت الصحراء مفايز لأن من دخلها وخرج منها سالما فقد ناز ، والقفار : جمع قفرة ، وهى الأرض التى ليس بها نبات ولا ماء .

(٤٥) عالج الرمال : هو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض .

(٤٦) محسورا : نالها أشد الندم على ما قدم واقترب من الذنوب وترك من الطاعات .

(٤٧) الذى يفر نفسه ويخدمها بجهله .

ربك (٤٨) ، لا يقرع لك بابا ، ولا يهاب لك جبابا ، ولا يقبل منك
بديلا ، ولا يأخذ منك كفيلا ، ولا يرجم لك صبغيا ، ولا يوقر فيك
كبيرا ، حتى يؤدبك الى قعر مظلمة ، أرجاؤها موحشة ، كفعله بالأمم.
الخالية والقرون الماضية .

أين من سعى واجتهد ، وجمع وعدد ، وبنى وشيد ، وزخرف
ونجد (٤٩) ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يتمتع ؟ !



٥- وصية أمير المؤمنين

على بن أبى طالب لابنه الحسن

« من الوالد الفانى ، المقر للزمان ، المدبر للعمر ، المستسلم
فيه للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، الطاعن اليهم عنها
غدا ، الى المولود المؤمل ما لا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ،
عرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ،
وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحلف الهموم ، وقزين
الأحزان ، ونصب الآفات ، وصريع الشهوات ، وخليفة الأموات .

أما بعد ، فإن فيما قد تبينت من أديار الدنيا غنى ، وجنوح (٥٠)
الدهر على ، واقبال الآخرة على ، ما يزعنى (٥١) عن ذكر ما سواي ،
والاهتمام بما ورائى ، غير أنى حين تغرد بى دون هموم الناس . هم

(٤٨) يقصد ملك الموت .

(٤٩) التجديد : هو تزيين البيوت بالفرش والوسائد والبسط واتواع
الزينة المخططة .

(٥٠) جنوح الدهر : ميله على الإنسان بمصائبه ودوايه .

(٥١) ما يزعنى : يكتفى ويجزئنى .

نفسى ، فمصدقنى رأىى ، وتضرف بى هواى ، وضرح الى محض
أمرى ، فألقى بى الى جد لا يزرى ^(٥٢) به لعب ، وصبحق لايشويه
كجذب •

وجدتك - أى بنى - من بعضى ، بل وجدتك من كلى ، حتى كان
شيئا لو أصابك أصابنى ، وكان الموت لو أتاك أتانى ، فعنانى ^(٥٣)
من أمرك ما غنانى من نفسى ، فكثبت اليك كتابى هذا ان أنا بقيت
أو لميت •

وانى أوصيك يا بنى بتقوى الله ، ولزوم أمره ، وعمارة قلبك
بذكره ، والاعتصام بحبله فهو أوثق السبب بينك وبينه •

يا نى أحيى قلبك بالموعظة ، وموته الزهد ، وقوه باليقين ،
وفلله بذكر الموت ، واكمره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ، وحذره
صولة ^(٥٤) الدهر ، وفحش تغلب الأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ،
وذكره ما أصاب من كان قبلك •

وسر فى ديارهم ، واعتبر بآثارهم ، وانظر ما فعلوا ، وعمن
انتقلوا ، وأين خلوا ، فانك تجدهم انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا دار
الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم ، فأصاح مثواك ،
واحرز ^(٥٥) آخرتك ، ودع القول فيما لا ترف ، والدخول فيما لا تكلف ،
وأمسك عن السير اذا خفت ضلالة ، فان الكف عند حيرة الضلالة خير
من ركوب الأهوال •

(٥٢) لا يتهلون ويتخلص به لعب •

(٥٣) نطقى من امرك : نشق على واهنى •

(٥٤) صولة الدهر : مسطوته وقهره •

(٥٥) احرز آخرتك : اجعلها مقصداك دائما وغسما اليك واحفظها
ولا تفرط فيها •

وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر ببينك ولسانك ،
وبائن (٥٦) من فعله بجهدك ، وخفف الغمرات الى الحق ، وثقفه في
الدين ، وعود نفسك الصبر على المكروه ، وألجى نفسك في الأمور كلها
الى الله ، فانك تلجئها الى كهف حريز (٥٧) ومانع عزيز .

وأخلص في المسألة لربك ، فان بيده المطاء والحرمان ، وأكثر
الاستخارة ، وتعلم وصيتي لا تذهبن عنك صفحا (٥٨) .

أى بنى . . انى لما رأيته قد بلغت سنا ، ورأيتني ازدحت
وهنا ، بادرت وصيتي اليك خصالاً ممن ان تعجل بى اجلى قبل ان
أقضى اليك ما فى نفسى ، وأنقص فى رأى كمن ناقمت فى جسمى ،
أو تسبقنى اليك بمضى غلبة الهوى وفتن الدنيا ، فتكون كالصعب
النفور (٥٩) .

وانما قلب الخدث (٦٠) كالارض الخالية ، ما ألغى فيها من شيء
قبلته ، فباكرتك بالادب قبل أن يقيم قلبك ويشغل لبيك (٦١) ،
للتستقبل بجد رأيك . ما قد كفلك تجربته ، فتكون قد كسبت مؤنة
الطلب ، وجوفيت من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأمله ،
واستبان لك ما ربما أظلم علينا فيه .

أى بنى ، انى لم أكن عمرت عمر من كان قبلى ، فقد نظرت فى
أعمارهم ، وفكرت فى أخبارهم ، وسرت فى آثارهم ، حتى عدت أباؤهم

(٥٦) أى غارق من عمل المنكر جهداً طائفاً ويكن ما أمك من جهد .

(٥٧) أى محفوظ مصلح منيع .

(٥٨) صفحا : جانباً . أى لا تدع وصيتي هذه تذهب عنك جانباً أو
تبتعد منك .

(٥٩) أى تنفر من نصيحتي فلا تقبلها .

(٦٠) الحديث : الشاب الحديث السن الصغير .

(٦١) ليك : عطفك .

بل كأننى لما قد انتهى الى من أمورهم قد عرت مع أولهم انى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت من كل أمر نصيلته (٦٢) ، وتوخيت لك جمياته ، وصرفت عنك مجهوله .

ورأيت عنايتى بك واجبة على ، فجمعت لك ما ان فهمته أحبك ، فاعتصم ذلك وأنت مقبل بين النية واليقين ، فعليك بتعليم كتاب الله وتأويله ، وشرائع الاسلام وأحكامه وحلاله وحرامه ، لا تجاوز ذلك قبله الى غيره .

فان أشفقت أن تلبسك شبهة لما اختلف فيه الناس من أهوائهم ورأيهم مثل الذى لبسهم ، فبتقصد فى تعليم ذلك بلطف .

يا بنى ، وقد علمت عنايتك فى الأمر ليكون ذلك نظرا لدينك لا مماريا (٦٣) ولا مفاهرا ولا طالبا لعرض عاجلتك ، فان الله يوفقك لرشدك ، ويهديك لقصده ، فاقبل عهدي اليك ، ووصيتى لك .

واعلم يا بنى أن أحب ما أنت آخذ به من وصيتى تقوى الله والافتصار على ما افترض الله عليه ، والآخذ بما مضى عليه أوامرك من آباءك ، والصالحون من أهل بيتك ، فانهم لم يدعوا أن ينظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم ذلك الى الآخذ بما عرفوا ، والإمساك عما لم يكلفوا .

فان أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم ما علموا ليكون طلبك ذلك بتعليم وتفهم وتدبر ، لا بتوارد الشبهات وعلم الخصومات .

وابدا قبل نظرك فى ذلك بالاستعانة بالله عليه ، والرغبة اليه ،

(٦٢) نصيلته : خلاصته . وهى مأخوذة من النحل الذى يأخذ من كل الأزهار والرياحين ويعطى لنا خلاصة هذا كله فى شكل منسل
(٦٣) المأرى هو المجادل فى البطلان بغية الجدال والظهور لا طلبا للوصول للحق .

واخذ كل شائبة أدخلت عليك شيبة ، وأسلمتك الى ضلالة ، فاذا
أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، كان همك في
ذلك هما واحدا ، فانظر فيما غسرت لك .

وان أنت لم يجتمع لما تصب من فراغ نظرك فاعلم أنك انما
تخبط خبط عشواء ، وليس من طالب الدين من خبط ولا خل ، والامساك
عند ذلك أمثل .

وان أول ما أبدوك به في ذلك وآخره أنى أحمد الله الهى والهك ،
اله الأولين والآخرين ، رب من في السماوات ومن في الأرضين بما هو
أهله ، وكما هو أهله ، وكما يحب وينبغي له ، وأسأله أن يصلى على
نبيينا محمد ﷺ ، وأن يتم علينا نعمه لما وفقنا من مسأله ،
والاجابة لنا ، فان بنعمته تتم الصالحات .

اعلم أى بنى أن أحدا لم ينبىء عن الله عز وجل كما نبأ محمد
ﷺ فارض به رائدا ، فانى لم ألك نصيحة ، ولم تبلغ في ذلك ،
وأنى اجتهدت مبلغى في ذلك لعنايتى وطول تجربتى وأن نظرى لك
كتظرى لنفسى .

اعلم أن الله واحد أحد صمد ، لا يضاده في ملكه أحد ، ولا
يزول ولم يزل ، أول من قبل الأتشياء ، بلا أولية ، وآخر بلا نهاية ،
حكيم عليم قديم ، لم يزل كذلك .

فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبىئ لك في صغر خطره ، وقلة
مقدرته ، وكثرة عجزه ، وعظيم حاجتك الى ربك ، فاستعن بالله
في طلب حاجتك ، وتقرب اليه بطاعته ، وارغب اليه بقدرته ،
وارهب منه لربوبيته ، فانه حكيم لم يأمر الا بحسن ، ولم ينهك
الا عن قبيح .

اجعل نفسك ميزانا بينك وبين غيرك ، وأحبب لغيرك ما تحب
لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ،
وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، ولا تقل ما لا تعلم بل قل مما تعلم ،
ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

اعلم يا بني أن الإعجاب ضد الصواب ، وآفة الأبواب ، فانسح في
كدحك ، ولا تكن خازنا لغيرك ، فإذا هديت لقصحك فكن أخشع ما تكون
لربك ، واعلم أن أمامك طريقا ذا مشقة بعيدة وأحوال شديدة ، وأنت
لا غنى بك عن حسن الارتياح ، وقدر بلائك من الزاد من خفة الظهر ،
فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك ، فيكون ثقله وبالا عليك .

وإذا وجدت من أهل الحاجة من يحمل لك زادك ، ويوافيك به
حيث تحتاج إليه فاغتممه ، واغتم ما أقرضت من استقرضك في
حال غناك .

واعلم أن أمامك عقبة كنودا ^(٦٤) ، مهبطها على جنة أو على نار ،
فارتد لنفسك قبل فزولك ، فليس بعد الموت مستعجب ^(٦٥) ، ولا إلى
الدنيا منصرف .

واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في
الدعاء ، وضمن الاجابة ، وأمر أن تسأله فيعطيك ، وتطلب إليه
فيرضيك .

وهو رحيم لم يجعل بينك وبينه حجابا ، ولم يلجئك إلى من
تشفع به إليه ، ولم يمنحك إن أسأته القوة ، ولم يماجلك بالبقعة ،

(٦٤) العقبة الكنود : العقبة الصعبة .

(٦٥) أي ليس بعد الموت من استرضاء ، فقد مضى زمان العمل وجاء
زمان الحساب حيث لا رجعة للدنيا .

ولم يؤيسك من رحمته ، ولم يسد عليك باب التوبة ، وجعل توبتك
الفرج من الذنب ، وجعل سيئتك واجدة ، وجعل حسنك عسرا .

وإذا ناديتك أجلك ، وإذا ناجيته علم نجواك ، فأفضيت اليه
بحاجتك ، وأثبتته ذات نفسك ، وشكوت اليه همومك ، واستجبت
على أمورك ، وسألتك من خزائن رحمته ، التي لا يقدر على إعطائها
غيره ، من زيادة الأعمار ، وصحة الأبدان ، وسعة الرزق ، وتمام
النعمة .

فالحج في المسألة ، فيالدعاء تفتح أبواب الرحمة ، ولا يقطنك (٦٧)
إبطاء أجابته ، فإن العطيّة على قدر النية ، فربما أخرجت الأجابة
متطول مسألة السائل فيعظم أجره ويعطى سؤله ، وربما نُفِرَ ذلك له
في الآخرة ، فيعطى أجر تعبده ، ولا يفعل بعبده إلا ما هو خير له
في العاجلة والآجلة ، ولكن لا يجد لطفه أحد ، ولا يغرف ذيقائق
تدبيره إلا المصطفون .

ولكن مسائلك لما يبقى ويدوم في صلاح دنياك ، وتسهيل أمرك
وشمول عافيتك ، فإنه قريب مجيب .

اعلم أي بني أنك خلقت للآخرة لا للدنيا ، وللغناء لا للبقاء ،
وانك في منزل قلعة ، ودار بلغة ، وطريق الآخرة ، وانك طريق
الموت الذي لا ينج منه هاربه ، ولا يفوته طالبه ، فاحذر أن يدركك
وأنت على حال سيئة ، وأعمال مردية (٦٨) ، فتقع في ندامة الأبد ،
وحسرة لا تنفد ، فتفقد دينك لنفسك ، فدينك لحمك ودمك ، ولا
ينقذك غيره .

(٦٦) القنوط : اليأس .

(٦٧) مردية : مهلكة .

أى بنى ، أكثر ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه ، ونفسي بمد الموت اليه ، واجعله نصب عيني ، حتى يأتيك ، وقد أخذت له حذرك ، ولا يأتيك بقعة فيسهرك ^(٦٨) ، وأكثر ذكر الآخرة وكثرة تعميمها وجبورها ^(٦٩) وسرورها ودوامها وكثرة صنوف لذاتها ، وقلة ألفتها إذا سلمت .

وفكر فى ألوان عذابها وشدة غومها ، وأصناف نكالها ^(٧٠) ان أنت تثقنت ، فان ذلك يزهك فى الدنيا ، ويرغبك فى الآخرة ، ويصفر عندك زينة الدنيا ، وغرورها وزهرتها ، فقد نبأك الله عنها ، وبين أمرها وكشف عن مساوئها .

فايك أن تغتر بما ترى من اخلاق ^(٧١) أهلها اليها ، وتكالبهم عليها ككلاب عاوية وسباع ضارية ، يهر ^(٧٢) بعضهم الى بعض ، عزيزها ذليلها ، وكثيرها قليلها ، قد أفلت أهلها عن قصد السبيل ، وسلكت بهم طريق العمى ، وأخذت بأبصارهم عن منهج الصواب ، ففتاها فى حيرتها ، وغرقوا فى فتنها ، واتخذوها ريا ^(٧٣) ، فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها ، فايك يا بنى أن تكون مثل من قد شأنته ^(٧٤) بكثرة عيوبها .

أى بنى ، انك ان تزهد فيما قد زهدت فيه من أمر الدنيا ، وتعرض نفسك عنها ، فهى أهل ذلك ، فان كنت غير قابل لنصيحتى أياك

(٦٨) فيسهرك ويغلبك .

(٦٩) الجبور : السرور .

(٧٠) النكال : المذاب .

(٧١) اخلاق أهلها : ركونهم الى الدنيا .

(٧٢) يهر : يكره بعضهم بعضا .

(٧٣) أصبحت الدنيا كل حياتهم ، حتى أنهم اعتبروها مصدر الرى

والهناء ، ومعلوم أن الرى هو سبب من أسباب استمرار الحياة .

(٧٤) شأنته : تركت ميائمه ووصمته بالمعيب والمسلوى .

منها فاعلم يقينا أنك لن تبلغ أمالك ، وإن تمدو أجلك ، فانسك في سبيل (٧٥) من قد كان قبلك ، فاجعل في الطلب ، واعرف سبيل المكتسب ، فإنه رب طلب قد جهر الى حرب ، وليس كل طالب يصيب ، ولا كل غائب يؤوب (٧٦) ، وأكرم نفسك عن كل دنية ، وإن سافقتك .

أيالك أن تتعاض بما تبذل من نفسك عوضا ، وقد جعلك الله به حرا ، وما منفعة خير لا يدرك باليسير ، ويسير لا ينال الا بالعسير ، وأيالك أن توجف (٧٧) بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل (٧٨) الهلكة .

وإن استطعت ألا تكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فانسك مدرك قسمك وأخذ سهمك ، وإن اليسير من الله أعظم وأكرم ، وإن كان كل من الله ، والله المثل الأعلى .

واعلم أن لك في يسير مما تطلب فتتال من الماوك افتخارا وبيع عرضك ودينك عليك عار ، فاقصد في أمرك تحمد معقبة عاك ، أنك لست بائعا شيئا من عرضك ودينك الا بثمن ، والمغبون من حرم نصيبه من الله ، فخذ من الدنيا ما أتاك ، وقول عما تولي عنك .

فإن أنت لم تفعل فأجعل في الطلب ، وأيالك ومقارضة من يشينك ، وتباعد من السلطان ، ولا تأمن خدع الشيطان ، ومتى ما رأيت منكرا من أمرك فأصلحه بجس نضرك ، فإن لكل وصف صفة ، ولكل

(٧٥) أي أنك ستقر في نفس الطريق الذي سار فيه من كان قبلك وهو طريق الرحيل عن الدنيا مهما طال عمرك ، فهذا طريق كل حي .

(٧٦) يؤوب : يعود ويرجع إلى أهله وأحبابه .

(٧٧) توجف : تسرع . الوجيف : السير السريع .

(٧٨) المناهل : الموارد التي يستقى ويشرب منها الماء .

قول حقيقة ، ولكل أمرا وجهها ، ينال الأريب (٧٩) فيه رشده ،
ويهلك الأحق بتسفه فيه نفسه .

يا بنى .. كم قد رأيت من قيل له تحب أن تعطى الدنيا بما
فيها مائة سنة بلا آفة ولا أذى ، لا ترى فيها سوءا ، ويكون آخر
أمرك عذاب الأبد ، فلا يفتن بها ولا يريد بها ، ورأيت قد أهلك دينه
ونفسه باليسير من زينة الدنيا ، وهذا من كيد الشيطان وحباله (٨٠)
فاحذر مكيدته وغروره .

يا بنى .. أملك عليك لسانك ، ولا تتطلق فيما تخاف الضرر فيه ،
فإن الصمت خير من الكلام في غير منفعة ، وتلافيك ما فرط من همك
أيسر من ادراكك ما فات من منطقك .

واحفظ ما في الوعاء بشد الوكاه (٨١) ، وإعام أن حفظ ما في يديك
خير من طلب ما في يد غنيك ، وحسن التحجير مع الكفاف (٨٢) أكفى
لك من الكثير في الاسراف ، وحسن اليأس خير لك من الطلب إلى
الناس .

يا بنى .. لا تحدث عن غير ثقة فتكون كذابا ، والكذب داء
تجانبه (٨٣) وأهله .

يا بنى .. العفة مع الشدة خير من الغنى مع الفجور ، من فكر
أبصر ومن كثر خطؤه هجر ، رب مضيع ما يسره ، وساع فيما يضره ،

(٧٩) الأريب : العاقل .

(٨٠) حباله : مصليده . مغرورها حباله .

(٨١) الوكاه : كل سر أو خيط يشد به هم السقاء أو الوعاء .

(٨٢) الكفاف من القوت : الذي يكون على قدر حاجة الإنسان ويغنيه

من سؤال الناس فلا يزيد منه شيء ولا ينقص .

(٨٣) تجانبه : أبعد عنه ومن أهله .

من خير حظ المرء قرين صالح ، فقارن أهل الخير تكن منهم ، وباتن
أهل الشر تبين منهم •

ولا يغلبن عليك سوء الظن ، فانك لن تدع بينك وبين خليلك
صلحا ، قد يقال من الحزم سوء الظن •

بئس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، الفاحشة
تقسم القلب ، اذ كان الرفق خرقا (٨٤) كان الخرق رفقا ، وربما كان
الداء دواء ، وربما نصح غير الناصح وغش المتنصح •

اياك والاحتكال على المنى فانها بضائع النوكى (٨٥) ، ذك (٨٦) غلبك
بالأدب كما تذكى النار الحطب ، ولا تكن كحاطب الليل وغشاء (٨٨)
السيل •

كفر النعمة لؤم ، وصحبة الجاهل ثبؤم ، والمقل حفظ
التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك ، ومن الكرم لين الشيم (٨٨)
بأحر الفرصة قبل أن تكون غصة ، ومن الحزم العزم (٨٩) ، ومن سبب
الحرمان التواني ، ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد •

لكل أمر عاقبة ، قرب مشير بما يضر ، لا خير في معين مهين ، ولا
في مسدق ظنين (٩٠) ، لا تدع المطلب فيما يحل ويطلب ما لا بد من
بلغة (٩١) ، وسيأتيك ما قدر لك •

(٨٤) الخرق : الحق والجهل .

(٨٥) النوكى : الحمى . والأتوك : الأحمق .

(٨٦) ذك عليك : أى أشعله وأجعله يتقدا بالأدب .

(٨٧) الغشاء : ما يحمله السيل ويسوقه أماله من الزيد والوسخ وغيره .

(٨٨) الشيم : الصفات .

(٨٩) العزم : الاستعداد فى أخذ تعاليم الله بالحزم والعزم الأكيد .

(٩٠) ظنين : كثير الظن فى الناس .

(٩١) البلغة : ما يتبلغ به من العيش بدون زيادة على الحاجة .

التاجر مخاطر ، من حام ساد ، ومن تفهم ازداد ، ولقاء أهبل
الخير عمارة القلوب ، ساهل ما ذل لك بقوة •

واياك أن تطمح بك مطية اللجاج ، وإن قارفت سيئة فمجل
محوها بالتوبة ، ولا تخذ من اثمتك وإن خانك ، ولا تدع شرك وإن
أذاع شرك •

خذ بالفضل ، وأحسن البذل ، وأحب للناس الخير ، فإن هذه
من الأخلاق الرفيعة ، وإنك قلما تسلم ممن تسرعت اليه ، وكثيرا ما يحمده
من تفضلت عليه •

اعلم أى بنى أن من الكرم الوفاء بالذمم والدفع عن الحرم ،
والصدود آية المقت (٩٢) ، وكثرة العال آية البخل ، وبعض الإمبيك
عن أخيك مع الألف خير من البذل مع الجنف (٩٣) ، ومن الكرم صلة
الرحم ، والتمرم وجه القطيعة •

احمل نفسك من أخيك عند جموحه على البذل ، وعند تباعده
على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند تحرمه على الاعتذار ،
حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك •

ولا تقص ذلك في غير موضعه ، ولا تفعله بغير أهله ، ولا تتخذ
من عدو صديقك صديقا ، فتعادي صديقك ، ولا تعمل بالقديمة
فإنها أخلاق اللئام ، وامحض (٩٤) أخاك النصيحة — حسنة كانت
أم قبيحة — وساعده على كل حال ، وزل معه حيث زال ، ولا تطلب
منه المجازاة فإنها من شيم الدناءة ، وخذ على عدوك بالفضل ،
فإنه أحرى للظفر •

(٩٢) المقت : المكره .

(٩٣) الجنف : الميل من الحق والظلم .

(٩٤) امحض أخاك النصيحة : اخلص له النصيحة .

لا تصرم (٩٥) أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب ،
وان من غالفك فانه يوشك أن يلين ، ما أقبح القطيعة بعد الصلة ،
والجفاء بعد اللطف ، والمداوة بعد المودة ، والخيانة لمن اتّمتك ،
وخلف الظن لمن ارتجاك ، والفرر بمن وثق بك .

وان أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية ، ومن ظن
بك خيرا ففسد ظنه ، ولا تضيعن بر أخيك اتكالا على ما بينك وبينه ،
فانه ليس لك بأخ من أضمت حقه .

لا يكون أهلك أشقى الناس بك ، ولا ترغبن فيمن زهد فيك ،
ولا ترهدين فيمن رغب اليك ، اذا كان للخلط موضعا لا يكونن أخوك
أقوى على قطيعتك منك على صلته ، لا يكونن على الاساءة أقوى
منك على الاحسان اليه ، ولا عاى البخل أقوى منك على البذل ، ولا
على التقصير أقوى منك على الفضل .

لا يكثرن عليك ظلم من ظلمك ، فانه يسمى في مضرتك ونفعك .
وليس جزاء من سرك أن تسوءه .

اعلم أى بنى أن الرزق رزقان ، رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فان
لم تأتته أذاك ، واعلم أن الدهر ذو صروف ، فلا تكونن ممن يسبك
لاعنة للدهر ومحفلا عند الناس عذره .

ما أقبح الخسوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى ، انما
لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، فأنفق يبرك ، ولا تكن خازنا
لغيرك ، فان كنت جازعا مما ثقلت من يجيك فاجزع على ما لا يصل
اليك .

(٩٥) لا تصرم أخاك : أى لا تقطع علاقتك به ومودتك له لجرد الشك
والظن .

استدل على ما لم يكن بما قد كان ، فإن الأمور إشتباه يشبه بعضها بعضا ، ولا تكفرون ذا نعمة فإن كفر النعمة من قلة الشكر ولؤم الخلق ، وأقلل العذر ، ولا تكونن ممن لا تتفعمه العظلة الا اذا بلغت في الملامة ، فإن العاقل يتعظ بالقليل ، والبهائم لا تنفع الا بالضرب •

واتعظ بغيرك ، ولا يكونن غيرك متعظا بك ، واحذ بحذاء (٩٦) الصالحين ، واتخذ بأدابهم ، وسر بسيرتهم ، واعرف الحق لن عرفه لك رفيعا كان أو وضيعا ، واطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر •

من ترك القصد جار ، نعم حظ المرء القناعة ، شر ما أشعر قلب المرء الحسد ، في القنوط التفريط ، وفي الخوف من العواقب البغي . الحسد لا يجاب الا مضرة وغيظا يوهن قلبك ويمرض جسمك ، فاصرف . عنك الحسد تغتم ، وأنت مصدرك من النل تسلم •

وارج من بيده خزائن الأرض والأقوات والسموات ، وسله طيب المكاسب تجده منك قريبا ولك مجيبا ، الشح يجلب الملامة ، والصلح الصالح مناسب ، والصديق من صدق غيبه ، والهوى شريك البغي ، ومن التوفيق سعة الرزق •

نعم طارد الهموم اليقين ، وفي الصدق النجاة ، عاقبة الكذب شر عاقبة ، رب بعيد أقرب من قريب ، وقريب أبعد من بعيد ، والغريب من لم يكن له حبيب ، من تعدى الحق ضاق مذهبه ، من اقتصر على قدره كان أبقى له ، ونعم الخلق وأوثق العزى التقوى ، من اعتك (٩٧) هد هوى ، وقد يكون اليأس دراكا اذا كان الطمع هلاكا •

(٩٦) أي اتدبهدى وعمل الصالحين •

(٩٧) اعتك : رجع الى ما أرضك منه بعد أن ترك ما كنت تأخذه عليه واستخطك عليه •

كم من مريب قد شقى به غيره ونجا هو من البلاء ، فنانك من :
يجنى عليك ، وقد تصدى الصبح مبارك^(٩٨) الجرب ، وليس :
كل عورة تظهر ، ربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الأعمى رشده ،
ليس كل من طلب وجد ، ولا كل من تولى نجا .

آخر الشيء فانك اذا تشئت عجلته : أحسن ان أجبت . أن يحسن .
اليك احتمل أخاك على كل ما فيه ، ولا تكثر البغائب . فانه يورث
الضعيفة ويجر الى المفضية ، وكثرته من سوء الأدب ، استعيب من
رجوت صلاحه .

قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل : من كابذ الحزبة^(٩٩) :
عطب ، ومن لم يعرف زمانه حرب^(١٠٠) ، ما أقرب النقمه من أهل
البنى . وأخلق^(١٠١) من غدر أن لا يوفى له ، زلة العالم أفتح زلة ،
وعلة الكذاب أفتح علة .

الفساد يبين الكثير ، والاقتصاد يثمر القليل ، والقلة ذلة ، وبر
الوالدين أكرم الطبائع ، والخوف شر لحفاف ، والزلل مع العجلة ،
لا خير في لذة تعقب ندامة .

العاقل من وعظمت التجربة ، ورسولك ترجمان عقلك ، وكتابك
أحسن ناطق عنك ، فتدبر أمرك وتكسر شرك .

الهدى يجلو العمل ، وليس مع اختلاف ائتلاف ، ومن حسن العمل :

(٩٨) الصباح : هي الإبل السلية الصحيحة التي لم تصب بالجرب ،
والمبارك هي مواضع بروك الإبل . والجرب : هي الإبل التي قد أصيبت
بالجرب .

(٩٩) الحزبة : العصبة المجتعة .

(١٠٠) حرب : سلب ونهب .

(١٠١) أى أخرى به واجتر .

اقتصاد (١٠٢) حال الجنان ، لن يهلك من اقتصد ، سقر المير وخبيلة ،
ورب يلمح عن حقه ، ولتين كل من ينظر البصير •

رب هزل صار جدا ، من اثمن الزمان خائنه ، ومن تعظم عليه
أهله ، ومن لجأ اليه أسلمه ، ليس كل من رمى أصاب ، وإذا تغير
السلطان تغير الزمان ، ونغير أهلك من كذابة المراج يورث الجداوة ،
والخطأ أعز من اجترأ وربما أكد الحق •

رأس الدين صحة اليقين ، وتسام الاخلاص تجنب المناهي ،
وخير القول الصدق ، والسلامة مع الاستقامة ، سل عن الرفيق قبل
الطريق ، وعن الجار قبل الدار •

كن من الدنيا على بنية (١٠٣) ، أحمل لن ظم عليك ، وأقبل
عذر من اعتذر اليك ، وأرحم أخاك وإن عصاك ، وصله وإن جفلك ،
وعود نفسك السماح ، وتخبر لها من كل حال أحسنه •

لا تتكلم بما يزدريك ولا ما كثر يزدريك (١٠٤) ، أنصف من نفسك
قبل أن ينتصف منك •

وأرى بني إياك ومشاورة النساء الا ما حرمت بكمال ، فان رأيت
يجر الى من ، وعزمه الى وخر ، اكف عليهن من أضرارهن بجارك
اياهن ، فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياح ، وليس خروجهن
بأشبه عليك من دخولهن لا تفرق به عليهن ، فان استعظمت أن
لا يرفعن غيرك فافعل •

أفعل المصنوع ولا تكثر التعذيب في غير حجب ، فان المرأة ربحانة

(١٠٢) أي يتعرف أحوال جاره وليعيظه فتعظم بآثره

(١٠٣) هي ما يبلغ الإنسان به في حياته فلا يزيد من حاجته شيء

(١٠٤) يزدريك : أي يجعلك محترقا بين الناس فيهم يزدريك

وليس بقرمانة (١٠) ، وأحسن لمالك الأديب ، وإن أجرم أحد منهم جرماً فأحسن العفو ، فإن العفو مع العز أشد من الضرب لمن كفر به قلب ، وخف القصاص ، واجعل لكل امرئ منهم عملاً تأخذه به يقاتنه أخرى أن لا يتواكوا .

وأكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير ، وأصلك الذي اليه
تصير ، فانك بهم تصول وبهم تطول ، وهم البعدة ^(١٧) عند البعدة ،
أكرم كريمهم ، وعد ^(١٨) سقيمهم ، وأشركهم في أمورهم ، ويبيد عن
مصرهم ، واستن بالله على أمرك كله ، فإنه أكرم معين •

استودع الله ذنوبك ودينك والسلام *



من خطب أبي المؤمنين

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

١ - خطب عمر بن الخطاب اذ ولي الخلافة ، فصعد المنبر ،
بحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أيها الناس، اني داعي فائزون : اللهم اني غليظ فليقني لأهل طاعتك، بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقني الخلقة والشجرة على أعبداك وأهل الدار. والنفاق من غير ظلم يحيي لهم ولا

(١٠٥) التهمة : التهمة في اللغة هو الحائط الزكّل لما تحت يديه من الأموال وغيرة والعلم بأمر الرجل ، والمشتد أن المرأة ليست هكذا ، وأما هي تحتاج أن يعلم بالمرأة.

(١٤١) المؤمنون : ما يفتقد عليه : يعتمدون الانسداد ويؤمنون به المؤمنين
يعتمد عليهم عندما تنزل به القدرات والمصائب ويتم به الفواجر
(١٤٢) أي من يرضيهم

اعتداء عليهم ، اللهم انى شحبح فسفنى فى نواىب المعروف قمصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ، واجملنى ابتنى بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم انى كثير الغفلة وانسيان فاللهمنى ذكرك على كل حال ، وذكر الموت فى كل حين .

اللهم انى ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقنى النشاط فيها ، والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون الا بعزتك وتوفيقك . اللهم ثبتنى باليقين ، والبر ، والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، ومصلاح النيات ، والحذر من الشبهات . اللهم ارزقنى التفكير ، والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، انك على كل شىء قدير .

٢ - عن سعيد بن المسيب قال : لما ولى عمر بن الخطاب خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أيها الناس ، انى علمت أنكم كنتم تؤمنون منى شدة وغلظة ، وذلك انى كنت مع رسول الله ﷺ ، وكنت عبده وخادمه ، وكان كما قال الله تعالى : « بالمؤمنين رءوف رحيم » فكنت بين يديه كالسيف المسلول الا أن يغمضى أو ينهانى عن أمر فأفك ، والا أقدمت على الناس لمكان لينه ، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عنى راض والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد ، ثم قمت ذلك المقام مع أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ بعده ، وكان كما قد علمتم فى كرمه ودعته ولينه ، فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شححتى بليته الا أن يتقدم الى فأفك ، والا أقدمت ، فلم أزل على ذلك حتى توفاه الله ، وهو عنى راض ، والحمد لله على

ذلك كثيرا وأنا به أسعد ... ثم صار أمركم الى اليوم ، وأنا أعلم ،
فسيقول قائل : كان يشد علينا والأمر الى غيره فكيف به الانصار
اليه ؟! واعلموا انكم لا تسألون عنى أحدا ، قد عرفتمونى
وجربتومونى وعرفتكم من سنة نبيكم ما عرفت. وما أصبحت نادما عنى
شئ. أكون أحب أن أسأل رسول الله ﷺ الا وقد سألته ...
فأعلموا أن شدتى التى كتتم ترون ازداحت أضعافا اذ صار الأمر
الى على الظالم ، والتمدى ، والأخذ للمسلمين اضعيفهم من قويهم ،
وانى بعد شدتى تلك واضع خدى بالأرض لأهل العفاف والكف منكم
والتسليم ، وانى لا أبى - أن كان بينى وبين أحد منكم .

٣ - أوصى عمر رضى الله عنه ، الخليفة من بعده فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمجاهرين الأولين
خيرا : أن تعرف لهم سابقتهم. وأوصيك بالانصار خيرا ، بإقبال من
محسنهم ، وتجاوز عن مسيئتهم وأوصيك بأهل الأمصار خيرا ،
فإنهم رده (الاسلام) ، وجباة الأموال والغني ، لا تحمل فيئهم الا
عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيرا ، فإنهم أصل العرب ،
ومادة الاسلام : أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم فتد على
فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيرا : أن تتألب من ورائهم ، ولا
تكلفهم فوق طاقتهم ، اذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا ، أو عن يد ،
وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله ، وشدة الحذر منه ، ومخافة
مقته أن يطلع منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله فى الناس ،
ولا تخشى الناس فى الله . وأوصيك بالمعدل فى الرعية والتفرغ
لحوائجهم وثغورهم ، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم فإن ذلك - باذن
الله - سلامة لقلبك ، وخط لوزرك ، وخير فى علقبة أمرك ، حتى
تتخى من ذلك الى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك .
وأمرك أن تشد فى أمر الله ، وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس

ويعيدهم ، ثم لا تأخذك في أحد الرأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرمه •

واجعل الناس سواء عندك لا تبالي على من وجب الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والأثرة ، والمحاماة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم وتحرك نفسك من ذلك ماقد وسعه الله عليك •

وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقتربت لدنياك عدلا وعة عما بسط الله لك اقتربت إيماننا ورضوانا ، وإن غلبك عليه الهوى ، ومالت بك شهوة اقتربت به سقط الله ، ومعاصيه •

وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغريك في ظلم أهل الذمة وقد أوصيتك وحضيتك ونصحت لك ابتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة واخترت من دلائلك ماكنت دالا عليه نفسى وولدى فإن غمات بالذى وعظمت ، وانتهيت الى الذى أمرتك أخضت به نصيبا وافرا ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهلك ، ولم تنزل معانيم الأمور عند الذى يرضى الله به عليك يكن ذلك بك انتقاما ، وبرايت فيه مجحولا ، لأن الأهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة والداعى الى كل هلكة ابليس ، وقد أضل القرون السالفة قبلك ، فأوردتهم النار ، وبئس الورد المورود وبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة لمجدو الله والداعى الى معاصيه !

ثم أركب الحق وخض اليه الصعرات وكن واعظا لنفسك •

وأنتخذك الله لنا ترخمت على جماعة السطمين فأجلت كبيرهم وزحمت صغيرهم ، ووقرت عائلهم ، ولا تضربهم فخذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالنيى فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطائهم عند مظلما فتظفرهم ،

ولا تجرمهم في البعوت فتقطع نسلهم ولا تجعل المال خولا بين الأغنياء
منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قلوبهم ضغينهم .

هذه وصيتي إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام .



عنه كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص ، رضي الله
عنهما ، ومن معه من الأجناد :

أما بعد فاني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل
حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيئدة في
الحرب .

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من
عدوكم فان فتوى الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر
المسلمون بمعصية عدوهم الله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن
عدونا ليس كعدوهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوتينا في المعصية
كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا فنصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم
بقوتنا .

واعلموا أن عليكم في مسيرتكم حفيظة من الله يعلمون ما تنطقون ،
فلاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله ، وأنتم في سبيل الله ، ولا
تقولوا : ان عدونا شر منا ، فان يسلط علينا وإن أسأنا ! فرب قوم
قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما غفلوا بمساخط
الله كهار الجوس : « فاجلبوا خلال النياز وكان وعدا مفعولا » .

واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ،
أسأل الله ذلك لنا ولكم .

وتفرق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجسمهم مسيراً. يتعجبهم ولا
تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم ، والسفر لم ينقص
قوتهم ، فانهم سائررون الى العدو مقيم حامى الأئفس والكراع ^(١) ، وأقم
بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها
أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم ^(٢) وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قري أهل
الصلح والخمة ، فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ، ولا
يرزأ ^(٣) أحداً من أهلها شيئاً فان لهم حرمة وذمة ، ابتأيتم بالوفاء بها
كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولواهم خيراً ، ولا تستنصروا
على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ^(٤) ، وإذا وطئت أرض العدو فأذك
العيون بينك وبينهم ^(٥) . ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من
العرب أو من أهل الأرض من تطمئن الى خصمه وصدقه ، فان الكذوب
لا ينفك خبره ، وان صدقك في بضمه ، والغاش عين عليك . وليس
عينا لك ، وليكن منك عند ذنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع
وتثبت السرايا ^(٦) بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم وموقفهم ، وتتبع
الطلائع ^(٧) عورتهم ، وانتقل للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ،
وغير لهم سوابق الخيل ، فان لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من
رأيك ، واجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد والصبر على الجلاء ،
لا تخفص بها أحداً بهوى ، فيضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت
به أهل خاصتك ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف عليها فيه

(١) الكراع : الخيل والسلاح .

(٢) أى يصلحون ما نسد مقها .

(٣) يرزأ : ينقص أو يأخذ منه شيئاً .

(٤) أى لا تطلبوا النصر على أعدائكم بظلم أهل الصلح .

(٥) أذاك العيون : أى أرسل إليهم من يطلع أخبارهم ويعرف أسرارهم .

(٦) السرايا جمع سرية : والسرية قطعة من الجيش ما بين خمسة
ألف إلى ثلاثمائة .

(٧) الطلائع : جمع طليعة والطلليعة : مقدمة الجيش ومن يبعث قداه
ليطلع على أسرار العدو .

غلبة أو خسيعة ونكابة ، فإذا عاينت العدو فاضمم اليك قاصبيك
وطلائعك وسرايك ، واجمع اليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعنجلهم
المنالزة (٨) مالم يستكرك قتال حتى تبصر عوزة عبيدوك
ومقاتلة (٩) ، وتعرف الأرض كلها كعرفة أهلها بها فتصنع بعيدوك
كصنعة بك ، ثم أذك أحراسك على عنكرك ، وتيقظ من البيات (١٠)
ولا تؤثني بأسير ليس له عقد (١١) إلا خربت عنقه لترهب بذلك عدو
الله وعدوك ، والله ولي أمرك ، ومن معك ، وولى النصر لكم على
عدوكم ، والله المستعان » .



٥ - كتب عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، الى أبى موسى
الأشعرى - رواها ابن عيينة :

« أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فاتهم
إذا أبلى اليك الخصم ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس (١٢)
بين الناس في مجالسك ووجهك حتى لا يطعم شريف في حيفك (١٣)
ولا يخاف ضعيف من جورك .. البينة على من ادعى واليمين على من
أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ،
ولا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس ، ثم راجعت فيه نفسك وهديت
فيه لرشدك أن ترجع عنه ، فإن الحق قديم (لا يبطله شيء)

(٨) المنالزة : القتل والنزال .

(٩) المقاتل : جمع مقتل وهو الموضع الذى إذا أصيب فيه الإنسان أو
الحيوان لا يكاد يسلم .

(١٠) البيات : الإيقاع بالعدو ليلا يفتنه .

(١١) عقد : عهد .

(١٢) آس : مو بين الناس .

(١٣) الحيف : الظلم .

والزجوع اليه خبز من التماذى على البساط^(١٤) ، الفهم فيها يتلجج^(١٥) في صدرك مما لم يخلق به كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ ، واعرف الأمثال والأشياء وقس الأمور عند ذلك ، ثم اعمد الى أحببينا عند الله ورسوله وأشبهها بالحق ، واجعل : (١) أن ادعى حقاً غلبتنا أمداً ينتهي اليه) فإن أحضر بينة أخذت له بحقه ، وإلا وجهته عليه القضاء ، فإن ذلك أجلى للمعى ، وأبلغ في العذر .

والمسلمون عدول^(١٥) بعضهم على بعض الأمجلودا في حيد أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنينا^(١٦) في ولاء أو قرابة ، أو نسب ، فإن الله ، عز وجل ، ولى منكم السرائر ، ودرا^(١٧) عنكم بالبينات والأيمان .

ثم اياك والتأذى بالناس والتفكر للخصوم في مواطن الحقوق التي يوجب الله عز وجل بها الأجر ، ويحسين بها الذخر ، فإنه من تخلص نيتيه فيما بينه وبين الله ، ولو على نفسه بكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره .

وقال رضى الله عنه :-

« تعلموا العلم وعلموا الناس وتعلموا له الوقار والسكينة وتواضعوا لأن تعلمتم منه العلم ، وتواضعوا لأن عتموه العلم ، ولا تكونوا من جابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم » .

(١٤) أى يتردد في صدرك ويطلق ولم يستقر .

(١٥) عدول : جمع عدل وهو المرفق الحكم أو الشهادة

(١٦) الظنين : الفهم وكل ما لا يوثق به .

(١٧) درا : دفع .

وقال رضى الله عنه :

« كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم
ولا يفركم أن لا يكثر لكم » •

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٧
الفصل التمهيدى : المحللة مهنة الجبارة	١٣
الفصل الأول : مفهوم المرافعة	١٩
تمهيد وتقسيم	١٩
المطلب الأول : ماهية المرافعة	١٩
المطلب الثانى : مبادئ المرافعة	١٦
أولاً : البلاغة فى المرافعة :	٢٦
١ — ضرورة البلاغة فى اظهار الحق	٢٧
٢ — مجال اللغة الطعية فى المرافعات	٢٨
٣ — مطابقة لغة المرافعة لمقتضى الحال	٢٩
٤ — لغة المرافعة لغة حديثة للاغنىكتلبة	٢٩
ثانياً : العاطفة فى لغة المرافعة	٢٩
ثالثاً : الائتلىس فى المرافعة	٣١
رابعاً : المرافعات لغة جراءة	٣٢
خامساً : الاعتدال فى لغة المرافعات	٣٢
سادساً : المرافعات فى مصر	٣٣
الفصل الثانى : عناصر المرافعة	٢٤
تمهيد	٢٤

الموضوع	الصفحة
مناصر نجاح المرافعة القضائية	٢٥
المطلب الأول : افتتاح المرافعة	٢٦
مميزات أسلوب المقعة	٣٧
بطل لامتتاع المرافعة	٢٨
من المقدمات المشهورة	٣٩
المطلب الثاني : موضوع المرافعة	٤٠
اللعناصر الأساسية للمرافعة : التلجيح	٤١
من الأمثلة التفصيلية	٤٤
القول مأثورة في موضوع المرافعة	٤٥
المطلب الثالث : ختام المرافعة	٤٧
من أمثلة الختام الجيد في المرافعات	٤٧
الفصل الثالث : أحكام المرافعة	٤٩
تمهيد :	٤٩
المطلب الأول : أركان المرافعة	٤٩
الإسلوب واللغة	٥٠
الدفعاء كليل جريته	٥٠
جريمة المرافعة	٥١
قواعد الالتقاء الجيد	٥٣
طريقة الارتجال	٥٥
عدم إرفاق الحكمة	٥٥
ملاحظات على المرافعة	٥٦
ملاحظات على المرافعة	٥٧
المطلب الثاني : مقدمات المرافعة	٦٠
المطلب الثالث : دستور المرافعة	٦٠

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٦٠
أولا : دستور المرافعة	٦٠
ثانيا : كيفية تهر القلق عند المرافعة	٦٦
الفصل الرابع : مرافعات النصف قرن الأولى من القضاء	٦٩
قضية مقتل المرحوم بطرس غالى باشا	٦٩
دفاع الأستاذ/محمود بك أبو النصر	٧٢
دفاع الأستاذ/احمد لطفى بك المحلى	٧٤
مرافعة الأستاذ/ ابراهيم الهلباوى المحلى	٧٦
مرافعة صاحب السعادة/عبد الخالق ثروت باشا	٧٨
مرافعة الأستاذ/محمود طاهر زويى	٨٤
مرافعة الأستاذ/ ابراهيم الهلباوى هن تفتيق منصور	٨٨
مرافعة الأستاذ/وهيب وهيبى	٩٢
مرافعة مصطفى حنفى برهيس بنبيلة الاستئناف	٩٧
دفاع الأستاذ/يكرم مبيد	١٠٠
دفاع الأستاذ/محمود حنفى	١٠٤
مرافعة الأستاذ/صادق العجيزى	١٠٨
مرافعة الأستاذ/عبد اللطيف محمود	١٠٩
مرافعة الأستاذ/مير عارف	١١٢
مرافعة الأستاذ/عبد اللطيف محمود	١١٩
مرافعة النائب العام محمد لبيب عطية	١٢٣
من خطب الامام على رضى الله عنه	١٢٩
١ - خطبة الزهراء	١٢٩
٢ - خطبة جامعة لخصال الخير	١٣٥
٣ - وصية الجامعة لكميل	١٣٩
٤ - من كلامه فى آداب الحكماء والعلماء	١٤١
٥ - من وصية لابنه الحسن	١٤٣
من خطب امير المؤمنين عير بن الخطاب	١٥٩
مهرست الكتاب	١٦٩

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٢/٨٩٣١

الرقم الدولي

I.S.B.N.

977 — 00 — 4293 — 5

مطابع الدار البيضاء

الحاج احمد سعد الأبيض وأبنائه

١٨ شارع مستشفى الدمرداش بالعماسية ت ٢٨٢٥.٤٦ -

مطابع الدار البيضاء

(مركز جمع آلي)

الحاج أحمد سعد الأبيض وأبنائه

القاهرة - العباسية ١٨ ش مستشفى الدمرداش ت ٢٨٢٥.٤٦